الممرّ

المرّ

محمد إبراهيم محروس

تصميم الغلاف:

رقم الإيداع: 26209 /2017

I.S.B.N:978- 977-6640-00-9

الطبعة الأولى 2018م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

نائب المدير : رامي غزالة

شؤون إدارية : رقية عبد الله

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

محمد إبراهيم محروس

الـممرّ

رواية



أي تشابه بين أحداث وشخصيات الرواية وأحداث وشخصيات حقيقية هو سفالة من الكاتب وعليكم إعادة تربيته؛ فعليه أن يرى الواقع كما ترونه ليس كما يحبه.

محمد إبراهيم محروس

(1)

الطريق الذي عليه أن يقطعه الآن يبدو بلا نهاية. يسير بخطى وئيدة مضطربة، لا يتعجل المشي، يتأمل المارة، ويحاول أن لا يلفت الانتباه إليه. يبدو في مشيته أنه خاض الكثير من المشاوير التي لا تنتهي.

الفكرة كلها الآن عليه أن يثبت لنفسه أن ما حدث لم يكن بفعل فاعل، بل هو مجرد قدر، قدر وضع له وسار فيه دون دراية. وليس لديه الحق أن يسأل لماذا؟

لا يريد أن يعطي الأمور أكثر من نصابها برغم ضخامة الحدث وتأثيره المميت عليه ، حينما أخضعوه للتحقيق منذ سبع سنوات كان يدرك أن الأمر كله ملفق، وأن لا قضية حقيقية هناك. ولكن لِمَ يريدون سجنه ؟ لِمَ؟!

حاول إقناع المحقق أن الأمر كله عبث، وأنه لا يمت بصلة لذلك الشخص الذي يبحثون عنه، ولكنهم قالوا إنهم لا يخطئون قطّ. لا يدري هل استوعب فكه أول لكمة من الضابط أم أنه أنهار دفعة واحدة وهو يحاول الوقوف على قدميه مترجيًا الجمع حوله التوقف عن ضربه وأن الأمر خطأ، وأنه ليس ذات الشخص الذي يقررون أنه هو.. ولكنهم واصلوا ركله كرة شراب يتلذذ بها الأطفال في الحارة .

لم يبد عليهم أنهم يفهمون أو يفقهون ما يقوله من همهمة وسط تلقيه الركلات ،لم يلتفتوا لصراخه .. كانت الإشارات تأتي بأن يزيدوا من تعذيبه ولا يتوقفون، حتى أصبح كالخرقة المبللة.

راحو يجرونه على الأرض ويسحلونه بهدوء وكأنهم يمارسون لعبة يحبونها.. وعندما تأكدوا أنه فقد الوعي دلقوا عليه ماء باردا فانتفض من جديد ليواصلوا الحفل .

حاول أن ينام لعدة ليال بعدها في تلك الزنزانة التي رموه فيها، ولكنهم لم يمهلوه الوقت للنوم، كانوا يدخلون كل مرة بشكل مختلف، يتصورهم أحيانا مجرد كلاب تنهش في جسده، وأحيانا يتصورهم نمورًا، وبدأ تعذيب من نوع آخر..

لم يعرف قطّ هل من ضاجعه تلك ليلة كان كلبًا أم قردًا!

يشعر فقط بأنفاسه الحارة تلهب قفاه، حاول أن يتملص؛ فاكتشف أنه مكتف من قدميه وأن هناك من يشد قدميه لتبرز مؤخرته لذلك الحيوان الذي يعتليه..

قال لهم إنه لا يصلي فلم يعلمه أبوه الصلاة، وأنه دائم السكر ومدمن شرب الحشيش، عليهم أن يتأكدوا بسؤال أهل الشارع كيف كان يأتي أحيانا يترنح من السكر، حتى أنه في مرة دق بيت أم سلوى وطلب منها أن تبعث سلوى له في غرفته فوق السطوح ليضاجعها، فقذفته أم سلوى بالشبشب وكالت له من الشتائم الكثير، وبأقذع الألفاظ بل ضربته بيدها في عضوه وخصيتيه ، المدهش بعدها أن أم سلوى بنفسها من أتت إليه في السطوح، وأنه ضاجعها لمدة ثلاث ليال متواصلة دون ملل، قالت إنه لا يشبع فقد خلق خنزيرًا ويستحق السحق، أخبرهم كل هذا، ولكنهم لم يشغلوا أنفسهم بالقصة.

اهتمامهم أنصب على قدرته الجنسية وكيف ضاجع أم سلوى ثلاثة أيام متواصلة وكم عدد المرات كل يوم ، وأين كانت سلوى وقتها..

لم يرد الكذب قال إن سلوى خضعت وقتها لعملية الزائدة، وأنها كانت في المستشفى أثناء قيام أمها بـ

لم يعرف اللفظ المناسب الذي يرغبون في سماعه للكلمة فلزم الصمت، لكنهم أصروا أن الأمر خطة مدبرة، وأنه باتفاق مع أم سلوى أوهما سلوى أنها تحتاج للعملية، وأنهما من أدخلاها المستشفى بأنفسهما، رفض، وأنكر، فعاد القرد أو الكلب لينهش مؤخرته بعضوه من جديد وبعنف أكثر.

قال إن الأمر ليس كما يصفونه، قال إنه سرق جيرانه أحيانا ونصب على أشخاص لا يعرفهم ، واختلس عدة مرات من أعمال حقيرة في محلات ملابس .. وأنه شاطر في الاختلاس نعم أنها مبالغ زهيدة، ولكنه ناجح في هذا، فكيف يكون هو الشخص الذي يبحثون عنه.

قال أحد كبار الضباط وهو يرفع القرد أو الكلب الذي كان منكفئًا فوقه أن كل ذلك من الخطط التي رتب لها وعليه أن يعترف بجرمه وإلاّ، لم يكن يعرف أي وإلاّ بعد أن أهينت كرامته بهذه الصورة، فهو عار، ومنبطح على بطنه، وهناك من يعبث بمؤخرته، وهناك من يبصق لعابه في وجهه فأي وإلاّ بعد هذا.

أعادوه للزنزانة بعد التحقيق لعدة أيام متواصلة لم ينم خلالها تقريبا ، كان تعبًا ومنهكًا وكل جزء في جسده يشكو المرار..

أية جريمة ارتكبها؟!

حاول أن يتذكر الجريمة الحقيقية التي يعاقب بسببها الآن فهم لم يخبروه . ففشل!

ربما كانت الجريمة قبل مجيئه للقاهرة، نعم بالتأكيد هناك في البلد، هل تكون سماح من أخبرت الجميع، ولكنه لم يضربها على يدها كانت تعرف ظروفه، وتعرف أن البلد ليست بالصورة المتخيلة، كثيرًا ما حدثها عن أمله أن تتغير البلد وأن تصبح أحسن، وقتها قد يستطيع أن يوفر ما يسمح له بالزواج منها، بالتأكيد هي سماح من أبلغت عنه، خصوصًا بعد هذه الأيام التي كانت تأتي فيها إلى شقته، سماح كانت متعاونة للغاية يتذكر أول يوم قلعتْ فيه ملابسها أمامه، وارتمتْ على السرير، وكيف أنه فشل يومها في فعل أي شيء، كيف لم ينتبه إلى هذه النقطة.

عليه أن ينادي الآن على ضابط التحقيق ليخبره بأنه فشل يومها مع سماح، وأنها بكت بين يديه. كيف بعد كل هذه السنوات وهذا الحب لا يرغبها، كيف وهي عارية أمامه الآن لا يقف عضوه ليدخلها، حاولتْ ، وحاولتْ ،وحاول ، بدون فائدة.

لا بالتأكيد لن يخبر الضابط، فهو منذ أيام أخبرهم بحكاياته مع أم سلوى فكيف عليه الآن أن يعترف صراحة أنه لم يمارس يومها الجنس مع سماح، كيف سيسمح لتلك النظرة من الضباط أن تخترقه مرة أخرى، ربما عكسوا الدور وقتها، ورموا الكلب أو القرد تحته ليضاجعه هو وليس العكس كي يتأكدوا هل لديه القدرة على الجماع أم لا ، هل استلذذ بالقبح لهذه الدرجة؟

من المستحيل أن يعترف على نفسه أكثر من هذا، عليه أن ينكر واقعة سماح نهائيًا ولا يتذكرها حتى أمام نفسه.

فرضا أنها هي من أبلغت كيف يكون الحال وقتها هل سيسامحونه؟

هل سيعطون لإنكاره سببًا وجيهًا؟

الباب يفتح نصف فتحة يرمون له قطعة من الخبز، ومعها شيء أسود غريب، ثمة نملة بجوار قطعة الخبز لمحها وهو يزحف تجاه كسر الرغيف .

نملة ! من أتى بها إلى هنا؟ سيحافظ عليها، لا سيقتلها وهو يتذكر قصة قديمة لضابط أمر مسجون بمضاجعة نملة، فقد يتطور الأمر لذلك. سيقتلها.

مد يده يحاول الوصول إليها، وجدها تبتعد عن يده وكأنها أدركت ما قرره، قذف في فمه هذا الشيء الأسود وراح يلوكه، كان يريد الحياة، برغم ما يحدث له الآن فهو مُصرّ على الحياة لأقصى درجة ، ما الذي قد يجنيه إذا مات الآن. لا شيء تقريبًا سوى عذاب جهنم!

هذا ما قرره لنفسه دون أن يدري، شعر بحاجة ماسة إلى كوب من الماء. أية مياه. العطش يمزق زوره ولسانه تشقق، يشعر أن كل شيء في طريقه لمعدته يكويه بنار حامية.

الشيء الأسود الذي ازدرده زاده عطشا. الماء!

زحف على قدميه ويديه لم يكن باستطاعته الوقوف، لقد بللوا الزنزانة منذ يومين أين ذهبت المياه، راح يتحسس الأرض بلسانه، ويمرر لسانه وهو يزحف على بطنه على كل شبر، لكن من الواضح أن الزنزانة جافة تمامًا، وجد النملة تلتصق بلسانه، كيف عثر عليها بهذه السهولة؟ لو كان ركز كل يومه في الوصول إليها ما استطاع.

أراد أن يبصق فوجد حلقه جافا كقاع حلة وضعت على النار لساعات، مد أصابعه في فمه وعلى طرف لسانه وجد النملة فأخرجها ونظر إليها، كانت قد ماتت، ربما من لسع النيران من جوفه وفمه، تذكر أنه صمت أمام ضباط التحقيق كثيرًا ليس بغرض الصمت ولكنه لم يجد ما يقوله، أكد شوكت باشا هكذا سمعهم ينادونه أول مرة أنه

الشخص المطلوب وأن لديهم صوره، وأخرج إحدى الصور التي لا تشبهه وعرضها عليه أنكر، فأكد شوكت باشا أنها صورته في التسعينات في السودان ومن لا يظهر وجهه كاملا هو بن لادن، ازداد إنكاره للأمر وأوضح لهم أنه في التسعينات كان طفلا لا يتجاوز عمرة الخامسة عشرة وكان أبوه حيًا وقتها، وكان هو ما يزال يعاكس البنات الخارجات من مدرسة التجارة وأخذ يوصف أشكال ربلات ساقيهن وطول الجيب وشكل مؤاخرتهن المترجرجة في ملابسهن ، وأستاذة المحاسبة بعجيزتها الضخمة المثيرة والتي كانت تخرج لتسب الشباب الذين يعاكسون الفتيات فتتحول المعاكسات تلقائية لها ولعجيزتها المميزة بل أحيانا يخرج فتى عضوه ويمارس العادة السرية أمامها وسط ضحك زملائه .

ضحك شوكت باشا وقال إنه يملك خيالًا خصبًا طازجًا، وهذا ما يميزه.

أشار إلى عمره في البطاقة، وأن الصورة التي يراها لشخص أطول منه.

حاولوا التركيز أرجوكم، ولكنهم جميعا ضحكوا، لم يمهلوه كثيرًا حتى انهالوا عليه صفعًا وركلًا، وأسئلتهم تتوالى: ما الذي ذهب به للسودان؟ وما علاقته بتنظيم القاعدة؟ ومن الذي كان يدربه؟ وأية جريمة أرتكبها أولا؟ وهل شارك في تفجيرات داخل مصر وخارجها؟ ومن أين يتلقى تعليماته ؟ والاسم الحركي له ؟مستحيل!

أكد قائلا في التسعينات كنت طفلا، وكنت أعاكس بنات التجارة الخارجات من مدرستهن، وهناك دليلا أكيد على كلامه في شرطة الآداب في بلدته فقد قبض عليه يومها ضابط من الأدب وحلق له رأسه بالموسى، وهدد والده أن لم يرتجع ابنه عن أفعاله فلن يكن أمامه سوى إيداعه الإحداث ليبحثوا في الملفات ليتأكدوا، هذا ما راح

يصرخ به، لكن شوكت باشا قرر أن الأمر لا يتطلب بحثًا آخر، وأنهم لا يملكون الوقت لكل تلك المهاترات والألعاب الصبيانية وعليه أن يعترف بكل شيء وأي شيء.. وبرغم أن ما فهمه أن شوكت باشا ليس رئيس التحقيق المباشر بل المسئول عن السجن ولكنه الأمر الناهي .

رفض أن يقول شيئا آخر، فعاد الضرب من جديد وبعنف أكثر.

الملح يحرق جوفه، والمياه بعيدة عنه، وصوته لا يخرج بالكاد..

العسكري صابر أخبره أنه لو صرخ مرة أخرى فسيخبر الضابط. ووقتها سيتحمل أضعاف أضعاف العذاب الذي يشكو منه الآن؛ فالتزم الخرس.

سبع سنوات هي من ضاعت من عمره دون جدوى، لا يعرف هل الذنب الذي اقترفه كان يستحق كل هذا، أنه نجح بعد أول مرة فشل له مع سماح، بالتأكيد نجح.

غرفتها في بيت أبيها التي كان يتسلل إليها وقت صلاة الفجر عندما يهبط أبوها للصلاة تشهد بذلك.

قمصان نومها التي كانت تتفنن في لبسها واقتنائها تشهد بذلك.

ملابسها الداخلية التي كانت تخلب لبه والتي احتفظ بقطعتين منها كذكرى للزمن تشهد بذلك ، كيف لا يفهمون، كيف لا يحكمون عقولهم في كلامه؟

عليهم أن يأخذوا شهادة سماح، ربما أتى وقتها أمر بالإفراج عنه، ولكن هل ستعترف سماح بتلك العلاقة بعد أن تزوجت ذلك الطبيب الذي جلبته أمها لها، بالتأكيد سترفض الاعتراف وستعتبر الأمر فضحًا لسرها القديم، ولكن أهناك حل آخر؟

فكر كثيرًا ولم يصل لحل، حاول أن يتخيل كل جزء من جسد سماح ليصفه لهم، وقتها قد يعرونها أمامه ويعطونه قلما ليشير إلى الأماكن التي حددها سلفًا، نعم سيفعلون، العدل يقول هذا؟

أي عدل يبحث عنه الآن، هل فضيحة سماح وأهلها عدلا، هل وقتها سيظل زوجها على الحياد ولن يطلقها، الخرس الآن مفيد بالتأكيد، الخرس هو الحل المناسب أمام حالته، ليدعي أنه أصيب بالخرس ربما تركوه، عندها قد لا يجدون فائدة من احتجاز اخرس قرر وقتها وفعل، ولكن ذلك الطبيب الملعون الذي كشف عليه فضحه وقال إنه مدعٍ، وعليهم التشديد عليه أكثر، حتى الطبيب ملعون مثلهم؟!

من يتعامل مع الذئاب وقتا طويلا بالطبع سيتحول لذئب، قالها لنفسه وهو يتذكر سماح وكيف أنها تزوجت طبيبًا، ضربها في عقله عدة مرات هل يكون طبيب السجن هو زوج سماح، وربما هو من جاء به لهنا حتى يأخذ حقه من شرفه المسلوب، ولكن حتى لو هذا حقيقي فإنه لم يضاجع سماح بعد الزواج برغم كل شيء فهو صاحب مبدأ، لا خيانة!

صاحب مبدأ عندما تتزوج امرأة كانت على علاقة به فهو يبتعد نهائيًا. يكره الخيانة فهي الآن لا تملك أمرها فقط، ولكن معلق برقبتها شرف رجل آخر، لا يعرف تحديدًا متى أعتنق لنفسه هذا المبدأ ولكنه كان شيئًا أساسيًا في حياته. لا خيانة!

من خانه هل هي أم سلوى، ولكن أم سلوى ليس في ثقافتها هذا الأمر، وأن زوجها كان ميتًا وقت علاقته بها وهذا ما أعطاه المبرر لكي يجمعهما سرير واحد، يتذكر كيف كانت تموء كالقطة وهي تتمسح به، وكيف كانت تتغنج وهي تحته، جميلة تلك الأصوات التي كانت تنطلق

من بين شفتيها وهي في قمة انتشائها، نساء أخريات عرفهن لم يعطينه نفس الإحساس، أم سلوى ذكرى خاصة تستحق التقديس.

هل كان في عنفوانه وقتها، أم أنه كان غرا وقع تحت يد امرأة متمرسة، الكثير من الأسئلة تحتاج للأجوبة وهو لا يملكها.

شوكت باشا يستدعيه الآن من حين لأخر ليمسح له حمامه الخاص يقول إنه أشطر مسجون في مسح دورة المياه وهذا ما يخفف عنه الآن عقوبته.

لا يعرف كيف يعيش هذا الشوكت وما يأكل، فدومًا رائحة حمامه قميئة وتثير الغثيان، ولكنه اعتاد على الأمر، واعتاد على شوكت باشا وأوامره، حتى ذلك الشيء الذي في وقت ما يسلطونه عليه عندما يغضبون لم يعد يزعجه لهاثه في أذنه.

كل ما كان يشغله أحيانًا هل هو كلب أم قرد؟

***

المارة، الطريق، المحلات، بائعو الصحف، العمارات والشرفات والغسيل المنشور بها، أشياء تبدو له الآن من المعجزات، لم يكن يتخيل أنه سيراها مرة أخرى.

كان يريد أن يستعيد حياته، ولكن من أين يبدأ، الأمر ليس بهذه السهولة والسذاجة.

كان يمشي بلا وجهة تقريبا ، قدماه تحركانه وتسوقانه ، آلة تتحرك في بلادة ، فذهنه كان هناك، حيث كل شيء بدأ وانتهى، ولكن هل انتهى حقّا؟

حاول أن يطمئن نفسه ويوهمها أن الماضي من المستحيل أن يعود، وعليه أن يكف عن الحيرة، رقم تليفون واحد ظل محتفظًا به في ذهنه

طوال السبع سنوات ، صباح ومساء كان يكرره لنفسه .. رقمها هي . أميرة، أميرته، خطيبته، كيف يكون شكلها الآن، هل تغيرت خلال تلك السنوات؟ وجد أن خطواته تأخذه إلى بيتها إذن عقله أعطى القرار منذ مدة . أليس من الأفضل أن يتصل بها، أن يمهد للأمر، لكنه لم يمهد لاختفائه، وهل كان يملك التمهيد؟! كل شيء حدث دون إرادته، إنه قدره!

لا يعرف ما الذي يجب أن يفعله الآن، هل يتصل بها، بالتأكيد سوف تسعد بصوته، فهما كانا عاشقين.

كل الحب الذي استمر لأكثر من ثلاث سنوات قبل السجن وسبع داخله ما يزال يسيطر على كيانه كله ويشعله، أبحثت عنه أم اعتبرت اختفاءه هروبًا، ولماذا تعتبره هربا منها، فأنهما كانا سعداء بالفعل، وكانت الأمور قد بدأت تستقر به في العاصمة، عمله أصبح يدر عليه ما يستطيع أن يدخر منه، المبلغ؟ لقد أخذوه وقت هجومهم على الشقة حاول أن يشرح لهم أنه كل مدخرات الثلاث سنوات الأخيرة من أجل الزواج، رفضوا وقالوا آنذاك من بالضبط من الجماعة أعطاه إياه؟ حاول أن يفهمهم أنه تعب السنين الثلاث وضغط العمل المستمر من أجل الزواج رفضوا التصديق، يتذكر منظرهم جميعا، وجوههم محفورة في أعماقه، سبع سنوات ليست بالأمر الهين، فلقد حفرت بداخله عذابا لا ينتهي ووجوها لا تغيب .

التليفون يواصل الرنين ولا أحد يرد . يستأذن عامل السنترال أن يطلب له الرقم مرة أخرى، ولكن الرنين يتواصل مرة أخرى ولا أحد ، هل هي بالخارج الآن؟ ستعود وترد.

سيحاول مرة أخرى في الليل ربما يكون هذا ميعاد عملها.

هذا لو كانت ما تزال تسكن في نفس العنوان.

أميرة كم كانت حالمة. عيناها الواسعتان المتدفقتان بالحنان، شعرها الأسود الطويل الذي تحرص على الاعتناء به، وجهها الطفولي، وجنتاها اللتان تحمران دوما في خفر العذراء كأنها لم تكلم رجلا في حياتها.

كل شيء في أميرة كان يجعله لا يشبع من النظر إليها، كيف هي الآن؟

لا يعرف لماذا يطارده خيال سماح كثيرًا منذ خروجه، ربما لأنه يستدعي في عقله انتشاء شوكت باشا وهو يضحك ويخبط على مكتبه ويدعوه أن يقول له ماذا حدث في أول مرة مع سماح، وكيف أنها بكت عندما حاولتْ بكل السبل أن تدفعه أن يفعل شيئا أي شيء، ولكن الخوف الغريب الذي كان متلبسه وقتها جعله يبدو كخرقة مبلولة.

كم مرة أعاد الحكاية على أسماع شوكت باشا؟

إنه لا يذكر، لأن شوكت باشا كان لا يمل من سماعها، ربما كان هناك شيء في حياة شوكت باشا يجعله سعيدًا بما حدث، ربما كان مثله طوال الوقت وليس كأول مرة.

زميله د.عصمت أستاذ علوم الأحياء والذي كان مجاورًا له في السجن قالها مرارا إن شوكت باشا يعاني من الناحية الجنسية، وأن كل الشحم الذي يتكوم فوق جسده نتيجة لفشله في الجنس مع زوجته ولهذا يواصل الطعام بشراهة مجنون، أين هو د.عصمت الآن لقد رحلوه من ذلك السجن إلى سجن آخر منذ أربع سنوات، وهناك أخبار وردت أن ترحيله عقابا له على عدم التعاون، وآخرون من زملاء السجن قالوا إنهم قتلوه، من يتعبهم أكثر من اللازم يقتل وينتهي أمره إشاعات كثيرة قالت هذا ، هو لم يكن يريد أن يتعبهم ، كان يريد الاعتراف بأي شيء وكل شيء، لكنه لم يكن يملك القدرة على التخيل

أو اختراع الحكايات برغم أن شوكت باشا كثيرًا ما قال له إن خياله مشوق ومبدع ويصلح أن يكون أديبا ، وأحيانا كان يعطيه بعض الكتب لتسليه في زنزانته ليزيد من قدرة التخيل لديه .

ولكن ذلك ليس بحقيقي ما كان يظنه شوكت خيالا كان حقيقة حدثت، حتى خيانته لأم سلوى التي دفعته لمغادرة بلدته كانت حقيقية، لم يكن يدري كم هو نذل وقتها وهو يوقع سلوى في شباكه، وكيف كانت تلك الأيام ممتعة فسلوى كأمها شاطرة في الجنس، بل أشد تمرسًا ولا يعرف كيف، ربما من مشاهدة أفلام البورنو، وربما لأشياء أخرى لا يعرفها قد تكون وراثة، ساخنة وملتهبة وطازجة دومًا، هكذا كان يطلق على سلوى، بينما أمها كانت ناضجة وكاملة الأنوثة، لا شيء يحقق الجوع سوى كثرة الأكل، هذا ما أدركه لفترة حينما كانت علاقته بين الأم وبنتها، وكيف كان يتفنن في أن يجد الوقت الذي تكون فيه إحداهما بعيدة عن الأخرى، لترتمي الأخرى في حضنه، كان شيطانًا.

هذا ما أعترف به لهم، لكنهم لم يقتنعوا!

لم يفهم أية حياة تلك التي دفعته أن يقتل أحلام المرأة وابنتها، لماذا دخل حياتهما، المرأة كانت تحتاج لرجل بعد وفاة الأب وهي بعد ما تزال أنثى كاملة، تحتاج لفارس، وهل كان فارسًا أم مجرد حيوان استغل جوع جسدها.

اعترف إنه كان حيوانا، ولكنهم لم يصدقوه!

التليفون لا يرد، خمس ساعات تقريبًا يسير في الشوارع يتطلع لكل شيء حوله في مرارة وحيرة لا يعرف من أين يبدأ، عندما أخذوه كان يعرف أنه يستعد ليبدأ حياة جديدة مع أميرة، وأنه سيكفر عن ذنوبه مع سماح وسلوى وأمها، ولكن الآن لا يعرف من أين يبدأ. فقرر أن

يكون تليفون أميرة هو البداية هذه المرة، من حيث النهاية تبعث البداية، هذا ما قرره بينه وبين نفسه، ولكن ذلك التليفون اللعين يعانده. لا يريد أن يعطيه ما يريد!

عندما وجد نفسه محصورا بين المرأة وابنتها، قرر أن يتخلى عن إحداهما ولكنه لم يعرف أيا منهما تستحق أن تخرج من حياته، الأم أم الابنة. الأم ؟ الابنة ؟

الماضي والخبرة أم الشهوة والشباب. المستقبل!

هذا ما قرره وكان جحيمًا قلب حياته لفترة جنونًا، كيف استطاع بهذه البساطة وهو يضاجعها وهي تتأوه تحته في تلذذ وهو يلثم أذنها أن يهمس أنه يطلب يد ابنتها للزواج، كيف دفعته عنها وكيف تحولت لنمرة كادت أن تلتهمه وهي تصفه بأفظع الألفاظ، قال إنها أخر مرة لها وله معا، لتعتبرها مضاجعة للوداع، وعليها أن تقبل زواجه من ابنتها والآن قبل غد.

شكت الأم في الأمر وفهمتْ أن هناك علاقة مشبوهة بين سلوى ابنتها وهو، رفضتِ الزواج قالت مستحيل على جثتها ..

كيف لم تنتبه لما يحدث من وراء ظهرها، وأي شيطان هو؟

الفرصة كاملة أمامها، هذا ما قاله سيجمعهما بيت واحد هو وهي وابنتها، ولكنه يكره الخيانة، مبدأ لديه فلن يكون سوى لسلوى وعليها هي أن تخرج من حياته، كيف اتفقت الأم والابنة وقتها على طرده من حياتهما؟

هذا ما لم يستطع أن يفهمه طول تلك السنوات، حتى سنوات السجن لم تجعله يصل إلى حقيقة ما حدث، كيف يجتمع الضدان عليه، الماضي والمستقبل، الجنوح والعقل، كيف ضاع منه وقتها كل

شيء، وكيف أتى عم سلوى ليرمي عفشه في الشارع مهددًا أن عاد بقتله، واتهمه بمعاكسة الابنة. معاكسة! ربما لم ترد الأم فضيحة كبرى .

سبع سنوات مرّت في السجن، عمر آخر لا يعرف من أين يأتي بغيره، ما زال خيال شوكت باشا يطارده، يتذكر كل تفاصيل وجهه، حتى وهو يأكل وهو يدخل الحمام، كان يتعمد أحيانا أن يترك الباب مفتوحًا وهو يتغوط ويأتي به ليقف ويشاهد الحدث بكل قذارته .. أي تعذيب نفسي هذا، ما الذي يريده شوكت باشا بالضبط، هل يقول له إنه لا يخاف أن يتعرى أمامه، بالطبع لا يخاف، فمنذ فترة طويلة وشوكت باشا يستدعيه ليدعك ظهره وهو يستحم، كم مرة جاء له خاطر أن يخنق شوكت باشا حينها، ولكن الخاطر لم ينتقل مرة إلى مرحلة التنفيذ ظل حلمًا بعيد المنال.

شوكت بكرشه الضخم وظهره العريض وإليته العريضة، كل شبر في جسد شوكت باشا هو يعرفه، سنوات وهو يحممه ويدعك ظهره فكيف لا يعرفه. كلا

لا يريد أن يتذكر أكثر من هذا، لا يريد أن يتذكر كيف أجبره شوكت باشا أن. أن. كلا.

التليفون. السنترال . سترد أميرة بالتأكيد.

ما فعله لسنوات لشوكت باشا هو من رحمه من التعذيب، كيف لا يتذكره وهو كان يتقيأ بعد كل مرة كان يعتلي فيها شوكت باشا.

الجحيم أن تعرف. والجحيم الأكبر أن تظل محتفظًا بهذا السر لسنوات.

سنوات من القهر والعذاب. سبع سنوات.

كان شيطانًا وما زال، هذا ما ردده لنفسه، ولكن ما الذي كان يفعله أهون من هذا، جسده ذاق من العذاب ما لم يكن يتخيله في يوم من الأيام، ربما عرفوا أنه بريء. ولكن شوكت لم يكن في استطاعته أن يستغني عنه، فهو من يقلل غضبه في السجن، وعليه هو أن يحسب حساب هذا الغضب، فعندما يغضب شوكت باشا فهذا قد يدمر الكثير من المساجين، وقد يحول حياتهم لجحيم لا ينتهي، فعليه هو أن يجعل شوكت هادئًا طوال الوقت، هل كان يضحي من أجل زملائه، بالطبع وأية تضحية تفوق هذا؟

لا يعرف لماذا أصبح زملاؤه يتجنبونه وكأنه أبرص، حتى حينما قرر أن يصلي ويتقرب لله وجد نفسه دومًا في صف وحيد وهم يبتعدون عنه وكأن وقوفهم بجواره اعترافًا بجريمة شاركوا فيها، ألم يكن يعلمون أنه يرحمهم من عذاب لا ينتهي.

إنهم لا يحملون له المعروف الذي يفعله معهم، طريقه إلى مكتب شوكت وغرفته الملاصقة له هو الطريق الذي يمشيه من زنزانته كل صباح، أصبح يغسل ملابس شوكت وينشرها للشمس، الحديقة الصغيرة التي يحرص شوكت عليها والتي لا يتجاوز عرضها عدة أمتار كان يراعاها ويسقيها، ويبذر البذور فيها، كم وردة تفتحت أوراقها في هذا الجحيم!

إنهم لا يقدرون معروفه حق قدره.

كلهم ملعونون مثله وأكثر، ربما بما فعلوه في السابق وربما بما جاء بهم لهنا، ولكن أليس من الممكن أن يكون بعضهم مثله جاء بلا جريرة، كل شيء نسبي حتى الخيانة والموت، كل شيء نسبي حتى علاقته المسمومة بشوكت، والحديقة وغرفة النوم الملاصقة للمكتب، كل شيء يؤدي إلى الجحيم الذي دخله دون إرادة منه.

التليفون. عامل السنترال . أخيرًا شعر بأن ثمة شخصًا رفع السماعة على الطرف الآخر.

أنطلق صوته من بين شفتيه وكأنه يزغرد:

- الوووووو. أميرة حسن موجودة

جاءه صوت طفولي رائق:

- أنت عايز ماما؟

كاد أن يرمي السماعة من يده، ولكن أصابعه تسمرت عليها وصوت الطفل يأتيه عبرها:

- ماما. ماما. حد عايزك.

صوتها عبر الهاتف يقطع السبع سنوات كلها في غمضة عين، يترجى قدميه أن تحتفظ بثباتهما لينهي مكالمته معها ، يأتيه صوتها:

- مين معايا؟

يتلمظ ويبتلع ريقه وهو يقول:

- أنا. أنا.

يسمع شهقة منها قبل أن يغلق الهاتف في وجهه. لقد عرفته. عرفت صوته ونبرته ، ولكنها رفضته أيضًا، عاود الاتصال مرة أخرى، رنين ولا أحد يجيب، أعاده مرة ثالثة، جاء صوتها مرتجفًا عندما صرخت فيه:

- عايز ايه؟

قال في هدوء قدر استطاعته:

- عايز اشوفك؟

ازداد صوتها ارتجافا وهي تجيبه:

- مستحيل! ارجوك متتصلش هنا تاني.

قال في تخاذل وضعف:

- بس انا محتاج أشوفك؟ أرجوك.

بدا أنها تفكر كثيرًا ولكن الفضول ربما قتلها لمعرفة أين كان وهي تجيب:

- أمتى وفين؟

أجابها فرحا:

- دلوقتي لو ممكن؟

- بكرة

- خلاص بكرة

رد في لهفة :

- فين؟

- اتصل بي بكرة على الرقم ده. اكتبه. ده المحمول بتاعي ونشوف

أملته رقمها، فطلب منها أن تعيده مرة أخرى ليتأكد من صحته، وبعدها عادت لتغلق الخط في وجهه مرة أخرى وأخيرة .

خرج للشارع تطلع حوله وأخذ نفسًا عميقا من الهواء، الذي شعر أنه لأول مرة يدخل رئتيه منذ سبع سنوات.

ولكن تساءل بينه وبين نفسه لماذا ألحّ على أميرة كي يراها، ما الدافع لهذا بعد كل هذه السنوات، وأي جحيم سيفتحه على نفسه الآن؟ تذكر مبدأه. لا خيانة!

أميرة الآن متزوجة وأم لطفل سمع صوته منذ قليل، وربما يكون لديها أطفال آخرون فكيف يبرر لنفسه ما يفعله، أنه لا يفعل شيئا، مجرد رغبة في رؤيتها، ربما رغبة في الاعتذار!

يعتذر عن ماذا وهل كان في استطاعته شيء ولم يفعله؟

لا يعرف الآن إلى أين يذهب، شقته القديمة غادرها منذ سبع سنوات، فهل ما زالت خالية، بالتأكيد خاليه إنها شقة خاله رحمه الله، وقد اشتراها خاله منذ مدة طويلة، لا أحد يجرؤ على فتحها، سيستقل تاكسي ويذهب يفتحها، ويدع الهواء يعبث بها مرة أخرى، سيخرج مرة أخرى للعالم، بلا جريمة!

***

(2)

لم يكن يشعر بالحياة حوله، كل ما يشعر به هو ذاك الوجع في قدميه والذي راح يزداد مع كل خطوة يمشيها، قلب في جيوبه عبثًا عن أي شيء، لم يجد غير جنيهات قليلة جمعها المساجين له ، ومفتاح شقة خاله الذي حافظ عليه منذ جاء به شوكت باشا له في السجن وهو يعزيه في موت خاله، لا يعرف ماذا يخبئ الغد له، ليحتفظ بهذا المبلغ البسيط لحين يجئ وقته، عليه أن يسير للنهاية.

اللحظات التي تمضي تجعله يدرك أنه ما زال هناك حياة، وأنه عاد مرة أخرى ليحس بالوقت، كان قد انتهى إحساسه بالوقت منذ زمن.

لم يعرف تحديدًا متى بالضبط أصبح الوقت لا يمثل له أية أهمية، الصباح هو الصباح، والليل هو الليل، فلماذا يعدّ الأيام إذا كان عدّها في البداية عذابًا لا ينتهي.

ليستمر بالمشي، ما زال يحتفظ بصوت أميرة في أذنيه منذ أن سمعه في التليفون ويكاد يوهم نفسه أنه شعر بأنفاسها المضطربة تداعب وجهه.

يشعر أنه يسير وسط صحراء غريبة، وكل ما حوله من بشر مجرد سراب، أكذوبة أخرى مصطنعة، هل يوقف أحدهم ليسأله هل شعروا باختفائه هل أبلغ أحدهم عنه، وبحث، وحاول الوصول لمكانه؟ ولكن

ما لهم هم وما حدث له، لماذا يُدخل الناس في مسئولية ما جرى؟ إذن من المسئول؟

السؤال الذي لم يجد له إجابة قطّ، وكأنما عليه أن يستسلم، لا يعرف كم ساعة مشى، وكم من الوقت مرـ كل ما يشعر به الآن هو الليل، الليل المظلم حوله، ولكنه لن يكون أشد من ظلام نفسه، ولا أشد من ظلام زنزانته.

الحيرة، التخبط، كل المستحيلات التي حاول أن يصل إليها باتت سرابا، وعليه أن يمشي ويمشي.

أخيرا بدت له الحارة التي تؤدي إلى الشارع، حارة ضيقة يصطف على جانبيها بيوت كان قد تركها من دور واحد أو دورين، ولكنه يراها الآن وقد تخطى بعضها الخمسة أدوار..

كانوا يسمونها الممرّ لأنها تفصل بين شارعين أحدهما عمومي والأخر شبه عمومي.

تطلع إلى الأدوار التي ارتفعت بقبح. أكل هؤلاء سكنوا في غربته؟

سيجيب من يسأله عن غيابه أنه كان في الغربة، ولكن هل سيصدقونه، بعضهم رأى القوات التي اقتحمت الشارع ورأوه مكبلا بالقيود الحديدية ومقذوفا به في عربة البوليس، ولكن من سيهتم بعودته، من سيسأله؟

على أول الممر لاحظ وجود قهوة جديدة، ومحل ألعاب فيديو وإنترنت، وصالة حديد، لم يكن لهذا الأشياء وجود عندما أخذوه..

شقته تقع في الواجهة في نهاية الحارة المسدودة وكأنما كان عليه أن يصل لطريق مسدود ليعرف أنه وصل لوجهته، الشارع الذي يقطع الطريق بين الحارة والعمارة يبدو هادئا في تلك اللحظة، لا أحد يلتفت

لذاك الغريب القريب الذي يلجأ إليهم، يريد أن يرتمي في حضنهم أن يسامحوه على جريمة لم يفعلها، يعبث بيده في جيبه، المفتاح، يصعد السلم كأنه لص، يتلفت حوله كل ثانية، يقف أمام باب الشقة غير مصدق.

يلج المفتاح في قفل الباب، يحس أن "الكالون" يعانده.

يشك بأن أحدًا قد غيره، ولكن من؟ لا يعطيه الباب فرصة ليفكر عندما دار المفتاح وسمع تكة المزلاج، دخل للشقة، عينه لا ترى أي شيء، بحث عن زر النور، بجوار الباب ضغط عليه، فلم يجد شيئًا يحدث، ما يزال الظلام يعم، ضغط الزر عدة مرات ولا فائدة، شعر بأكوام من التراب تحت قدميه، ذهب لشيش الصالة فتحه نصف فتحة رأى خياله على الضوء الذي يعكسه العمود المقابل.

التراب يغلف كل شيء ولكنه لم يكح، فكم صادقه التراب لسنوات عدة.

رمى جسده على كنبة الصالة وسط الغبار ، وشعر كأنه يغوص في بحر بلا قاع.

راحت الذكريات تترى بعنف غريب، وبرغم أنه كان منهكًا ويحتاج للنوم وجد نفسه يغوص معها، يزيح بعضها عن عقله، ويترك خياله يعبث في بعضها ويغير بعض النهايات.

عبد الباري، لا يعرف لماذا طفح وجهه في عقله بهذا العنف، كان عبد الباري مسجونًا سياسيًا، برغم أنه كان بائع ترمس متجول، ولكنه عوقب على أنه مسجون سياسي، وافتخر بهذا دون مناسبة، تذكر كيف كان يضحك أحيانًا وعبد الباري يقص عليه حكايته، وكيف أنه كان يسرح بعربة الترمس على الكورنيش وبالطبع الترمس يحتاج لقراطيس، والقراطيس تحتاج لورق، والورق موجود في كتب تباع

بالكيلو، لا يعرف وقتها لماذا اختار هذه الكتب بالذات بالإضافة إلى رزم ورق مطبوع مر بها بائع روبابيكيا، ربما لضخامتها، وربما القدر من اختارها له. ولكنها غيرت حياته!

كان الطلبة المتسكعون على الكورنيش يأخذون القرطاس ويأكلون الترمس وبعدها يفكون القرطاس ويتسلون بالمكتوب، الغريب أنه بعد فترة وجد وجوهًا معينة من الطلبة تتردد باستمرار عليه ، وبعضهم يرمي الترمس ويفرد الورق ويقرؤه بإمعان غريب، ظنهم عبد الباري مجاذيب ، عندما زاد عددهم مع الوقت شعر بالحيرة ولكنه حمد الله على الرزق، وعندما أصبح بعضهم يعود إليه مرة أخرى برزم جديدة من الورق ويطلبون له أن يستعملها في البيع كان يدعو لهم ويظن أنهم يعجبون بعمله الشريف وكفاحه، الذي لم يدركه عبد الباري حينها، ولم يدركه حتى وهو معلق من قدميه والضابط ينهال عليه بالخيزران، أن الطلبة اعتبروه ناشطًا ثوريًا يساري ، وأن الورق الذي جلبه وسط الكتب كان عبارة عن منشورات، حاولوا الضباط كثيرًا أن يفهموا كيف لجاهل مثله أن يوزع منشورات بهذه الخطورة، ومن أين يأتي بها ومن يطبعها ويمولها؟ بلا فائدة !

وما أثار الضباط أكثر أنه كان يضحك، وكان سعيدًا بسجنه ويجيب كل من يسأله أنا سياسة. أنا سياسة!

كان هذا يثير حنقه هو ويجعله يريد أن يضربه مائة قلم ربما يفيق ويعرف أنه أُستغل دون معرفة، ولكن ذلك لم يكن يشغل عقل عبد الباري، الذي عامله بعض المساجين على أنه مجنون، حتى عندما لزم مجلسه بجوار د.عصمت لم يكن يفهم أي شيء سوى أنه بعد الحوار الكثير يقول بنهم غريب: ما أنا سياسة.

دعابة أخرى من دعابات الحياة بالنسبة له كان عبد الباري، وربما كان هو الوحيد الذي لا يبتعد عنه متأففًا كالآخرين، ربما لم يهضم

عبد الباري ما يحكونه عن علاقته بشوكت باشا، ويعرف أن الأمر قد يكون كذبًا، لأن وجوده هو هنا كذبة كبرى من نظام غبي!

عبد البارئ انضم فترة للإخوان داخل السجن وفترة للمجاهدين وفترة للجنائيين وفترة لجماعات الجهاد والتكفير ، وحب صوته هو يؤذن ولكن عندما عرفوا أنه يحفظ قصار السور بالعافية، منعوه من أن يؤذن، ذلك أصابه ببلبلة بعض الوقت وراح يردد مرة أخرى الجملة التي اختفت عن لسانه لفترة: أنا سياسة.

لعن عبد الباري المجاهدين أو من يسمون أنفسهم مجاهدين، ولعن الإخوان وصنفهم، وقرر أن لا يصلي وراء أحدهم مرة أخرى.

فهو كان يؤثر في كثيرين ألم يروا الطلبة حوله على الكورنيش ألم يسمعوا بالمظاهرة التي قامت في الجامعة والمنشورات التي كان يوزعها مع القراطيس؟

صدق عبد الباري نفسه وكبرت الكذبة لدرجة تكفي أن يعترف على نفسه أنه قد اشترك من قتل السادات!

لا يعرف لماذا يلح عليه الآن طيف عبد الباري ، ربما لأنه مثله دخل المعتقل بكذبة وبلا فائدة.

وربما لأنه خسر كثيرًا عندما اختفى عبد الباري من المعتقل منذ سنتين، ربّما أفرج عنه، وربّما نقلوه لمعتقل أخر، سيحاول أن يبحث عنه، يتذكر أنه وصف له عنوانه في يوم ما، ولكن هل يحفظه، راح يعصر ذاكرته لتذكر العنوان دون جدوى، يتذكر أن عبد الباري اعطاه رقم تليفون وهو يقول إنه أول شخص في منطقته دخل له تليفون، مستحيل أن يتذكر الرقم الآن!

تململ على الكنبة وجد يده تتسحب ليهرش في شعره، شعر بملمس التراب ولم يهتم، لم يدرك متى بالضبط راح في النوم، ولكنه استيقظ على صوت مؤذن الزاوية القريبة، التي لا تبعد عن الشقة سوى عشرين مترًا، انتابه نشاط غريب وقف على قدميه فتح الشيش فتسلل بعض الهواء البارد مع غبشة الفجر.

اكتشف أنه كان نائمًا بالحذاء، خلع حذاءه وراح يبحث عن أي شبشب قريب، بدت له الشقة وكأن هناك ألف عفريت قد هاجمها، كل شيء تقريبا حوله عبارة عن حطام. تعثرت قدماه بفردتى شبشب مختلفتين، لا وقت ليبحث عن فردة تشبه الأخرى، دخل الحمام فتح الحنفية، لم تنزل نقطة ماء، دور على المحبس الداخلي وجده مفتوحًا، خبط على الحنفية بيده عدة مرات في غيظ ولم يصل لنقطة ماء، لا يجد سوى التراب في الحوض وفي المطبخ وعلى البوتاجاز.

قرر أن ينزل هكذا ليتوضأ في ميضأة الزاوية.

نزل السلم متسللاً، هناك شعور بالخوف ما يزال بداخله.

بدت بعض النظرات ترقبه وهو يدخل الميضأة، نظرات من عيون ربما عرفته من قبل، وربما لا يستعد الآن هو لتذكرها، ربت شيخ ملتح على كتفه وهو يتوضأ قائلا:

- حمدا لله على سلامتك.

لم يستطع أن يدير وجهه بالكامل ليرى الشيخ حتى لا تتزحلق قدماه من على بسطة الميضأة، ولكنه تمتم شاكرًا الشيخ.

دخل للزاوية، النظرات تحيطه، اقترب من عمود ونوى أن يصلي ركعتين تحية المسجد، أنغمس في الصلاة، وجد الدموع تتسلل من عينيه وهو راكع.

أنهى الركعتين وأسند جسده المنهك لعمود الزاوية، الزاوية من الداخل منقسمة نصفين تقريبًا يقطع بينهم ممر صغير في منتصفه عمود.

قرر أن لا يبرح مكانه، وشعر بنفسه وهو يلصق ظهره أكثر وأكثر في العمود وكأنه يريد أن يختفي بداخله. دموع كثيرة محبوسة في عينيه، لا يعرف كيف يكبح شهوته للبكاء.

رفع المؤذن إقامة الصلاة. وجد نفسه يقف ويحاول أن يجد مكانًا منزويًا ليصلي فيه، ولكنه وجد نفسه يقف في صف المصليين، والإمام يحثهم على توحيد الصفوف، لأول مرة منذ سنوات يجد نفسه يصلي في صف وسط جماعة، غلبه الدمع وربما سمع بعض المصليين نهنهته واعتبروها خشوعًا.

لم يشعر بنفسه أين هو، شعر كأنه بين الأرض والسماء وأنه يترقب وصول ملائكة ليحاسب على أفعاله، كان كل ما يحسه به أنه أخيرًا يقف وسط الصفوف بلا خوف ولا قلق، سمع الشيخ يسلمّ. السلام عليكم ورحمة الله. السلام عليكم ورحمة الله. فسلم.

شعر لأول مرة منذ سنوات أن هناك نورًا يغسله، مسح دموعه بيده، وأخذ طريقه إلى الخارج، ولكنه فجأة وجد يدًا تستند عليه وصوت الإمام يقول:

- أوحشتنا.

تطلع في وجه الإمام كثيرًا، يريد أن ينطقها، أمعقول هذا؟ . حسين. نطقها بصعوبة غير مصدق، فربت الإمام على كتفه:

- ومن يكون غيره؟

أشار إلى اللحية وهو يقول:

- إيه ده؟

داعب حسين لحيته بيده، واتسعت ابتسامته وهو يقول:

- ذقني!

أراد أن يصرخ أنها ذقن بالتأكيد ولكنه لا يفهم، كيف يكون حسين، وكيف يكون الإمام. تمشى مع حسين الخطوات القليلة للشقة.

نظرات متسائلة كثيرة أطلت من وجه حسين، ولكنه كان يشيح بوجهه يتطلع للممر والشارع حتى يهرب من الأسئلة. قال حسين على باب العمارة:

- سنراك كثيرًا؟

هزّ رأسه وهو يجري ليدخل مدخل البيت ويصعد السلم جريًا، هذا خيال لم يدر بعقله مهما حاول، شعر بقلبه ينقبض، إذا كان "حسين" فربما كانت صلاته هذه المرة غير مقبولة، ولكن منذ متى صلاته مقبولة! وهل هو من يحدد من صلاته تقبل ومن لا.

ضحك عندما ضرب خياله شكل عبد الباري عندما أنضم فترة للسلفيين داخل السجن، إذا كان عبد الباري سياسيا، فما المانع من أن يكون حسين شيخًا!

شعر أنه يعود إلى زمن آخر. الزمن الأول قبل غيابه، فهذا زمن، وما يراه الآن زمنا آخر.

فتح الشيش على اتساعه وكأنه قرر أن يقول للجميع أنا هنا، نظر من الشباك تطلع لبيتها بيت العربجي كما كان يسميه، كانت هي أصغر أخواتها، عندما جاء للشارع كان يتعجب من منظر البيت الذي من دور واحد، بابه مفتوح معظم الوقت، أم وأب وثلاث بنات، وكأن لا شيء يخفيه العربجي عن الشارع.

يسحب الرجل حماره أول الصباح يربطه بعربة كارو يحمل عليها بضاعة ما، بينما تغادر الكبيرة بعده بساعة والأم تأخذ البنت الوسطى في يديها ويخرجان، وتظل هي الصغرى في البيت لا تقفل الباب وراء خروج الجميع، بجوار البيت نجار شاب يظهر فيما بعد الظهيرة بعد أن يكون قد ضاع نصف يومه في النوم ويعرف هو أن النجار عاطف قضى الليل في أنفاس الحشيش والبانجو، يرمق النجار الباب المفتوح وهو يفتح دكانه، ويشعل سيجارة الاصطباحة، كانت هي تدخل للحمام وتغلق بابه وتعود بعد دقائق وقد غيرت جلبابها بفستان قديم وتأخذ مكانها أمام التلفزيون، ربما كانت وقتها في الثامنة عشرة من عمرها أو أكبر قليلا، وكان حسين يتسكع أمام بيتها وبيته، ويرمق عاطف النجار بنظرات متحدية من حين للآخر، وكأنما كل منهما يقول للآخر أنه سوف يصل إليها قبله.

كان هو قد تعرف بحسين وياسر وربطتهم صداقة، ياسر كان يسكن في منتصف الحارة، كان ياسر قصير بعض الشيء بينما حسين يمتاز بالطول وعندما أنضم هو إليهما بقامته المتوسطة ربما ضبط المعادلة قليلا، وكانت صداقتهم الجديدة حديث الشارع لفترة، من هذا القادم ليعيش مع خاله بعد وفاة أبيه وأمه، وماذا يدرس، وماذا يعمل؟ .

وقتها كان هو قد عرف أميرة وأحبها ونسى طرده من بيت أم سلوى، وراح يغرز قدميه في الشارع يتتبع كل شيء، يقف مع خاله ليلا في المكتبة التي فتحها خاله في الممر منذ سنوات وأطلق عليها مكتبة الطلبة، قرر أن يجلب هو تجارة جديدة مع خاله آلة تصوير مستندات بالإضافة إلى بعض الخردوات ومستلزمات البنات وبعض العطور الرخيصة، كان لأول مرة يراها قريبة منه إلى هذا الحد، ابنة العربجي الصغرى، عرف حينها أن اسمها صباح، وأنها تعشق الماكياج والزينة، وأن رأسها فارغة تقريبًا محشوة بالمسلسلات والأغاني الهابطة، بدأ

تردد صباح يزيد على المكتبة خصوصا أثناء وجوده هو ليلا، ربما هذه هي الفترة التي زادت فيها صداقته بحسين. فقد كان يأتي هو أيضا أثناء وجود صباح ويستظرف أحيانا وهي تطلق ضحكة ساذجة رنانة على استظرافه الساذج، هل كان قنطرة ليعبر حسين إلى صباح؟ سؤال لم يفكر فيه وقتها .. فقد كان يريد أن يثبت لنفسه أنه يستحق الأصدقاء، وعندما جاء حسين وياسر في مرة وهم يخفون مجلة برونو قبل ظهور الانترنت الذي جعل هذا الأمر من التراث، وطلبوا أن يصور لهما منها صفحات، ضحك، كيف هما ما يزالان مراهقين، ولكن بعد فترة وجد نفسه في بيت حسين، الذي كان من دوريين وقتها، ووجد أمامه فيديو به فيلم إباحي، كان يغلق المكتبة ليلا ويستأذن خاله أنه سيغيب قليلا، ويدخل لبيت حسين أو ياسر حيثما يقرران هما أين سيكون الفيديو وفي بيت من الليلة.

الذي لم يتصوره أن الأمر يتطور، وتصبح أنفاس الحشيش والنجار عاطف طرفًا في المعادلة. ومع مرور الوقت بدا شيء آخر في الطريق، حيث رأى صباح وحسين يتجولان في وسط البلد ويديهما متشابكتين، قرر ربما كان الحب، ولكن الذي لم يتصوره أن يكون بتلك السرعة عندما وجد صباح تتسلل ليلاً إلى بيت حسين وتغيب لمدة وتخرج بعدها.

ولا يعرف متى بالضبط بدأت صباح تطلب أنواع أخرى من العطور غالية، وزاد فستان جديد على حبل غسيلهم، ومع مرور الأيام أصبحت الفساتين الجديدة في بيت صباح لا تلفت انتباهه من كثرتها ، ما يلفت انتباهه كثيرا خروجها الليلي من بيت حسين.

أراد أن يصارح حسين في الأمر ولكنه صمت، قرر أن يسأل ياسر ربما أعطاه حلاً، ولكن ياسر وقتها كان يمتحن امتحانا خاصا ليلتحق

بالشرطة كأبيه، أكاديمية أمناء الشرطة يتذكر الاسم بوضوح الآن، فأبو ياسر كان صولا في مباحث أمن الدولة، كيف لا يتذكر هذا سوى الآن؟ كيف لم ينتبه؟

فربّما ياسر هو من أبلغ عنه. مستحيل!

ياسر أيضًا عندما انتهت دورة تدريبه التحق بمباحث أمن الدولة، عاطف النجار أصبح يفتح دكانه بعد العصر ولم يعد ينظر في اتجاه بيت صباح، وكأنه هو أيضا قد قرر أن المعركة خاسرة.

عندما حث نفسه أخيرًا أن يفاتح حسين في الأمر، وجد ضحكة عجيبة تنطلق من بين شفتي حسين وهو يغادر المكتبة قائلًا: يا رجل!

لم يفهم لماذا قال له حسين وقتها يا رجل ومستنكرا سؤاله، فهمها عندما عاد حسين ليلا ليخبره أنه معزوم كضيف لديه، أستأذن خاله في الذهاب ولم يتخيل أنه لن يبيت الليلة في سريره، وجد الغرفة الضيقة في بيت حسين، ووجد شريط فيديو إباحي جديد لبطل يدعى فيكتور. وسيجارة حشيش ملفوفة. مرّت دقائق وزجاجة بيرة وضعت أمامه وحسين مبتسمًا وهو يروح ويجيء من الغرفة للصالة، وعندما فتح باب الغرفة في هذه المرة أحس أن شعر رأسه يقف، وضغط زر ريموت الفيديو بسرعة ليقفله فمن كانت تستند على باب الغرفة هي صباح. بلحمها وشحمها وأنوثتها الطاغية . كاد يكذب عينيه وهي تدخل مبتسمة قائلة:

- حسين قال إنك عايزني.

لم يستطع أن ينطق بحرف ورأس حسين تطلع من وراء الباب وصوته يأتي كأنه ينعس:

- أنا في الاوضة التانية لو عوزت حاجة؟

دخلتِ الغرفة وأغلقتِ الباب من الداخل وهي تسحب الريموت من يده والابتسامة المرسومة على شفتيها تجننه وهي تقول:

- طفيته ليه معجبكش فيكتور؟

انطلقت ضحكة رنانة شبقة من بين شفتيها، ولا يعرف كيف أصبح هو وهي عاريين تمامًا، ولكنه كان يشعر أنه يبحر لأول مرة في مناطق في الجنس لم يكن يعرفها أو ذاقها طوال حياته، كانت صباح تفوق خياله بكثير، جسدها ناعمًا لدرجة رهيبة، شفتاها رطبتان ممتلئتان بشهوة غير طبيعية، يديها وهي تعبث بشعر صدره، قبلتها الحارة على شفتيه، العالم السري لصباح الذي أخذه ليرتفع ويرتفع حتى ظن أن لا نهاية له.

أتته ضحكتها صافية بعدها وهي تسحب الملاءة لتغطي صدرها العاري :

- ده فكتور جنبك طلع تلميذ!

لا يعرف متى انسحبتْ من جانبه ولكنه فوجئ بحسين صباحًا على رأسه وهو يقول:

- صباحية مباركة. أكيد انبسطت. كدة يبقى لي في زمتك خمسين جنيه. ده بس عشان خاطرك وعشان انت صاحبي وزبون جديد وابن حتتي .

خمسون جنيها. اللعنة!

كل ما حدث بالأمس ثمنه خمسون جنيًا. ما أرخصه من سعر، وما أفدحها من جريمة!

لا يعرف كم أصبح دينه عند حسين، ولكنه لفترة لم يستطع أن يستغنى عن جسد صباح، ومرات طلبها لأكثر من ليلة وراء بعض ولم يمانع حسين ولكنه قال: لا يتعود على ذلك هناك زبائن آخرون.

هل يكون حسين هو من أبلغ عنه؟ مستحيل!

ما عرفه من عاطف النجار أن حسين يسرح عدة بنات من حارات مجاورة ، وقالها وهو يبصق على الأرض بقرف .

أين صباح الآن؟ السؤال طرح نفسه بقوة. إذا كان حسين قد صار شيخا وإماما، فأين تكون صباح.

سؤال ربما سوف يشغله لفترة عن التفكير في أيام السجن، وربما وجد استمتاعًا في البحث عن إجابة له.

تطلع لبيت العربجي المغلق بابه الآن أمامه بنظرة أخيرة وقرر أن يدخل لينام قليلا

فربما الغد يكشف له ما وراءه من أسرار. ربّما!

(3)

كان نائمًا بملابسه على كنبة الصالة، أشعة شمس الظهيرة اخترقت الشيش لتضيء وجهه، غطى عينيه بيده، وقام متثاقلاً، يشعر بوجع في رقبته، نومته لم تكن مريحة، ومنذ متى كانت نومته مريحة؟ طرح السؤال على نفسه فلم يجد إجابة تشفي غليله.

ماتت أمه عندما كان في الخامسة، فلم يعتد الراحة في النوم بعدها، اعتاد الكوابيس لفترة ليست بقليلة. أبوه عندما كان يعود من عمله المرهق كان يلقي عليه نظرة غريبة أيضًا وكأنه كارثة حلت عليه، يتذكر جارته أم زينب التي كانت ترعاه في غياب الأب، امرأة أربعينية، تحنى شعرها بحنة رخيصة، وتصبغ وجهها دومًا بالمساحيق، رائحة المساحيق كانت تخنقه أحيانا عندما تحضنه، لكنه لا ينكر أنها كانت حنونة عليه بعض الشيء، وفي نفس الوقت كان يشعر بنفور منها لا يدري له سببًا، ربما لأنه ظن كطفل حينها أنها تفعل كل هذا لتأخذ مكان أمه وتتزوج أباه.

كان لا يستطيع النوم براحة يظن أنه في أي وقت سيجد أبوه يدخل ساحبًا أم زينب في فستان الفرح، وذاك كان يصيب نفس الطفل داخله بالحيرة، أم زينب تفتعل الأعاجيب في وجهها تزجج حواجبها والكحل لا ينقطع عن عينيها، زينب أيضا لا يحبها تكبره بعامين تذهب للمدرسة تعايره أنه لا يذهب وأنه بطئ الفهم كسول، هي تلعب

وتتحرك وهو "بروطة" لا يتحرك، ساكن في مكانه، كان يخاف زينب أيضا، يخاف حركتها المستمرة ونشاطها، يخاف أن تستولي هي الأخرى على حب أبيه، النوم شعور افتقده لفترات طويلة وهو ينتظر عودة أبيه ليلاً، يأتي الأب ليسحبه من يده من بيت أم زينب ليرميه على مرتبة قديمة فوق سرير حديد شبه متهالك.

صوت حركته على السرير وصريره كان يرعبه كان يريد أن يرتمي في أحضان أبيه ولكنه يخاف تلك النظرة المتحجرة دومًا في عين الأب.

كابوس آخر يطارده بعنف، يفتح عينيه، ويسحب الملاءة القديمة ليغطي وجهه، فيتحرك، فيسمع "تزيق" السرير، ولكنه انتبه وقتها إلى صوت أعلى وأشد علو. تسحب بهدوء خائف، انكشفت له حجرة أبيه، منع صرخة طفل من فمه فما يفعله أبوه مع جارته أم زينب شيئا لا يفهمه، ولكنها كانت تتألم وتئن، هل يعذبها أبوه لمعاملتها له، المرأة عارية وأبوه كذلك وهناك تلك الأصوات التي لا يفهمها، وجد نفسه يهجم على ظهر أبيه: لا يا بابا هي معملتش حاجة. متضربهاش.

انتبهت أم زينب فلمت جسدها متكورا تحت البطانية، بينما اغتصب أبوه ضحكة عجيبة، قام ودفعه إلى غرفته، وأغلق الباب.

ربّما كانت أول مرة يسمع ويرى ما يحدث، ولكنها تكررت عدة ليال، حتى أصبح الصوت ملازمًا له لفترة، وجاء الوقت الذي استقرت فيه أم زينب في شقتهم. وتم هدم الحائط الفاصل بين الشقتين. حينها أدرك أنها أصبحت زوجة أبيه، ولكن ظل صوتها، وصوت "تزيق" السرير في مخيلته لسنوات طويلة.

زينب تكبر أمامه، وهو يكبر أمامها، لا يستطيع أن يدعي أن أمها كانت شريرة، ولكنها كانت متسلطة، أوامرها لا يستطيع أحد أن يرفضها أو يناقشها فيها، لا يعرف متى تحديدًا أدرك الجنس، ومتى

بالضبط أصبح صوت السرير في غرفة أبيه يصيبه بالشهوة، لكن الخيال المجنون أخذه لمنطقة غريبة، عندما عرف من عاصم زميله في المدرسة أنه بالغ، وأن السائل الذي نزل منه أمس وهو نائم هو عنوان بلغوه، الخيال المجنون صادقه، لم يعد يعرف النوم، جاءت لحظة الجنون الذي لم يتصورها عندما سمع المعركة الدائرة في حجرة أبيه كما كان يظنها قديمًا. تسحب على أطراف أصابعه ليدخل غرفة زينب. يجدها نائمة. يضع يديه تحت الملاءة ويبدأ في تحسس جسدها، تميل البنت على الجانب الآخر، فيشعر بخوف، يسحب يده مسرعًا، يخرج للصالة يسترق السمع، ما زالت الحرب دائرة في غرفة أبيه، يعود مرة أخرى ليضع يده على فخذ زينب ويرتفع بيده، تتأوه زينب بضعف وكأنها تحلم، يزداد عبثًا بجسدها ويرفع يد إلى نهدها ويداعب الحلمة بيده ويفركها ببطء ، وقتها يجد ماءه قد أغرقه، فينسحب جريا لغرفته، يحاول أن يتغطى بسرعة قبل أن ينهي أبوه جولته، كان يرتجف بعدها لمدة وينقطع عن النوم، لا يعرف كم مرة تسحب على مدار سنوات إلى غرفة زينب؟

هي كانت تدرك ما يحدث، وتجعله يفعل ما يفعله، لدرجة أنه بدأ يتجرأ بأن يمارس الحب بصورة شبه كاملة، ولكنه حافظ على تلك الشعرة التي تجعلها عذراء.

لكنه أبدا لم يستطع أن يحصل على نوم هادئ قطّ، كثيرات هي عذابات الضمير التي مزقته، في فترة الجامعة كانت زينب قد دخلت كلية الآداب قبله بعامين، بينما هو كلية التجارة بعدها .

وربّما قرر وقتها أن بعد التخرج سيتزوج زينب، ربما فاتح أباه في الأمر، ولكن هل سيوافق، أنه قطع تلك العادة القبيحة التي كان يفعلها مع زينب خصوصًا بعد أن غير أبوه السرائر الحديد بسرائر خشب.

ولكنه أيضًا لم يكن يستطيع النوم بحرية كاملة، هناك شيء ينغص عليه حياته، الضمير!

كيف يتخلص منه، كيف يستطيع أن يعطي لنفسه الحق في أن يخطئ دون إحساس بالذنب! اتجه للصلاة. واظب عليها، لم ينقطع عن الجامع لسنوات الجامعة، عرف الشيوخ وعرفوه، ولكنه كان لا يستطيع أيضًا أن ينضم في ركابهم.

كان ثمة شيء يمنعه أن يغوص بالكامل في تدينه، ربما الخطأ الذي لم يصلحه بعد.لماذا؟

لماذا؟ فعلها أبوه ومات فجأة. باق على الامتحانات شهرين، لِمَ لمْ ينتظر؟

شهران ربما تغيرت الحياة، ظل منكفئًا على كتبه وصلاته، جاءت الامتحانات سهلة، وجد تقديره مرتفعًا. طوال هذه الفترة كانت هناك نظرات بينه وبين زينب.

تدخل غرفته تضع أمامه الأكل بسرعة وتخرج شبه مهرولة وكأنها تخاف على نفسها منه الآن دون سبب، بعد سبع شهور قضاها يبحث عن عمل حتى حصل على عمل في شركة كعامل أمن. جاءته أم زينب وأخبرته أنه يستطيع الاعتماد على نفسه في الوقت الحالي وعليه مغادرة الشقة، مغادرة الشقة، مستحيل!

إنها شقة أبيه ولكنها رفعت في عينه عقد بيع للشقة لها، وأنها قررت الزواج ولا يصح تواجده لأنه غريب. جمع أشياءه يومها وغادر بلا مشاكل ، ربما كان هذا تكفيره عن ما فعله بابنتها طوال سنوات.. ليدفع الثمن ..

نظرة عجيبة أطلقتها زينب وهو يغادر، وكأنها تسأله شيئًا ليس في استطاعته، هل أحب زينب؟ سؤال طرحه على نفسه كثيرًا لكنه فوجئ بإن الإجابة بلا.. ولكنه دون وعي انتقم منها من جريمة في خيال طفل لم ترتكبها هي بل أمها .

عاد من شرود السنوات إلى وضعه الحالي. تطلع لشقة خاله، وتذكر أميرة ربّما كانت هي الحياة التي انتظرها طوال عمره ولم ينلها.

أعطت له رقم هاتف محمول بحث في جيبه وجده سيتصل بها، ولكن كيف يقابلها هكذا أنه لا يملك الآن سوى الثياب التي عليه وبعض جنيهات قليلة. يجب ألاّ يتصل، سيؤجل الأمر حتى حين، ولكن ماذا يريد من أميرة ألم يسمع صوت طفلها. يحتاج أولا أن يعيد المياه والنور للشقة، ويحتاج إلى ملابس جديدة، وفوق هذا يحتاج لعمل. أين يذهب؟

سيذهب للصلاة في الجامع الخلفي لن يدخل الزاوية بقدمه مرة أخرى يكفيه أن حسين يدخلها، هو يغفر لنفسه كل ما فعله من مصائب وذنوب لماذا لا يغفر لحسين أيضا؟!

ترك السؤال بلا إجابة. وقرر أن يأخذ طريقه إلى جامع الشيخة ابتهال، يضحك كثيرا وهو يتذكر اسم الجامع، فهو يعتبره فريدا من نوعه. عندما أتى للشارع منذ سنوات سمع حكاياتها باستغراب، الشيخة ابتهال، جامع به مقام للشيخة، يقال إنه كان زاوية صغيرة بها مقام، وأن الشيخة ابتهال زارت في الحلم أميرا سعوديا فأتى مسرعًا لمصر كي يبني لها الجامع حول المقام، وأصبح الشارع والجامع باسمها، لا يعرف الناس إذا كانت مدفونة في المقام بحق أم لا، ولكنهم تورثوه هكذا فما المانع، دخل حمام الجامع خلع ملابسه كلها، وفتح المياه على آخرها وكأنه يستحم لأخر مرة في حياته، يشعر بأنه يتخلص من ذنوب

سنوات مضت، عيناه مليئتان بالدموع ولكنه يمنعها من النزول، خرج من الحمام وتوجه للصلاة. صلى الظهر، وأخذ ركنا ليقرأ القرآن، يريد أن يطهر قلبه أكثر وأكثر، وقف عند سورة يوسف كثيرًا، يا له من اختبار لنبي! ويا لها من سورة!

وجدت الدموع أخيرًا طريقها إلى وجنتيه، وظل في مكانه حتى العصر، لا يعرف ماذا يفعل، أنه جائع.

اعتاد الجوع فلم يعد يمثل له مشكلة. فهو لم يشبع قطّ في حياته، طوال الوقت هو جائع، للطعام، للحب، للجنس. جوع لا يجد طريقة ليشبعه.

أنهى صلاة العصر وخرج من الجامع، يتذكر مطعم على أول الشارع يقدم واجبات فول وفلافل. أخذت أقدامه الطريق. المطعم في مكانه كما هو، طلب طلبا بسيطا، أخذ السندوتشات وجلس في ركن قصي يأكل وعقله شارد رغما عنه .

المكتبة قالها لنفسه، سيفتح المكتبة وسيزيل كل الوسخ والركام الذي تركه عليها منذ سبع سنوات يحمد الله أن خاله كتب له الشقة والمكتبة قبل وفاته، هل يبيعها، وأين يذهب أن باعها، لا سيفتحها مرة أخرى، سيقول لنفسه إنه لم يغادر الشارع والممرّ وإن كل ما حدث مجرد كابوس وراح لحاله، الحياة قد تكون صعبة ولكنها ليست مستحيلة.

مفاتيح المكتبة أكيد في أحد الأدراج فوق وإن لم يكن سيحطم القفل، سيبدأ من البداية، عليه إلا ينتظر أكثر، فلا يد ستمتد الآن لتعطيه، وجد نفسه يجري باتجاه الشقة، يلمح نظرات الفضول من بعض سكان الحارة، يسمع بعضهم يحيونه ويهنئونه بالسلامة، ولكنه لم يلتفت، ظل يجري حتى وجد نفسه يفتش الأدراج ويعبث في كل

أجزاء الشقة، وأخيرا وجد المفاتيح، استقبلها في يده بفرحة طفل بلعبة جديدة، ضمها لصدره، وهبط مسرعًا، وقف أمام المكتبة وتأملها، اليافطة مكسورة تحتاج لتجديد لا يهم، دخل للداخل، التراب أيضا يصدمه، ولكن لا يهم، سينظف كل شيء، أضاء النور وحمد الله أن العداد بالداخل وإلا فصلوا النور عن المكتبة أيضا، بدأ يعمل بشدة في تنظيف كل شيء، سمع أذان المغرب، ترك ما في يده وقصد جامع الشيخة ابتهال، وصى جاره على المكتبة وأنه سيصلي ويعود، أشار الرجل بيده إلى عينيه. فابتسم.

عاد بعد الصلاة ملهوفًا ينظف وينظف، البعض يعرض عليه المساعدة فيتمتم شاكرًا. أذان العشاء، ذهب وعاد بنفس الطريقة، لم ينتبه إلى المحلات التي تغلق، والناس التي بدأت تختفي تدريجيًا من الممرّ، ولكنه فوجئ بأذان الفجر.

أغلق المكتبة وقرر أن يكمل غدًا، كيف لم يأكل طوال هذا الوقت، إنه يشعر بالجوع، لا يهم ليصلي أولا ثم يفكر في أي شيء آخر.

خرج من صلاة الفجر يشعر بسعادة غير طبيعية، أخذ طريقه للشقة لم يتخيل أن يصطدم بحسين في الطريق. أوقفه حسين متسائلا إن كان محتاجا لشيء. فشكره وأراد الانسحاب، لكن حسين تشبث به وهو يضع في جيبه ورقة بمائة جنيه وقال إنه سيزوره، أراد أن يرفض، لكنه فكر أنه يحتاج بالفعل لأي مبلغ الآن. قال لحسين إنه يحتاج لسلفة أكبر وسيردها، ابتسم حسين وقال إن خيره عليه، لكنه الآن عائد من الصلاة ولم يكن في حسبانه حمل مبلغ كبير. فقال إنه لا يحتاجه الآن حالا. في أي وقت، فقال له حسين إنه سيزوره غدًا صباحًا والمبلغ سيكون عنده. وربت على كتفه بحنو غريب. وودعه.

لا يعرف لماذا لجأ لحسين ولكن هل كان في مكانه اللجوء لغيره ولم يفعل. ولكن لماذا تعامل معه حسين بهذه الصورة هل يكفر عن شيء.

لا يعرف سوى أنه الآن يحتاج للراحة والنوم والطعام، المقهى يفتح أبوابه، ويبدأ صبي في رص الكراسي. يحتاج لكوب من الشاي وبعض الشطائر، سيأخذ طريقه للفرن ويعود، طلب من الصبي أن يجهز له كوبا من الشاي حتى يأتي بإفطار وعزم على الصبي أن يجلب له معه، ولكن الصبي شكره ممتنًا. جلب الشطائر وعاد يلتهمها مع كوب الشاي في استمتاع. ليعش وليكن ما يكون.

أنهى الشاي والشطائر وأخذ طريقه للبيت، وألقى نظرة أخيرة على المكتبة وجد أنه نسى نورها مضاء، فلم يهتم ليكن ألا يكفي أن الشقة للآن دون إضاءة. شيء يعوض عن شيء. دخل الشقة ارتمى على الكنبة وغرق في النوم وسط أكوام التراب والظلام.

***

لم يشعر سوى بدقات على باب الشقة. أنه نام كثيرًا. للظهر تقريبًا.

حسين بكل تأكيد، قرر أن يبتسم في وجه حسين. الرجل لم يتأخر عن مساعدته وها هو يأتي إلى شقته، فتح الباب وعلى شفتيه ابتسامة، ولكن ابتسامته اختفت وحل محلها نظرة ذاهلة، فمن كان يدق الباب لم يكن حسين بل كانت أميرة.

لم يشعر إلا وهو يرمي نفسه في حضنها. ودموعه تغرق وجهه. وكلماته تخرج متلعثمة من بين شفتيه، بينما هي تستقبل كل هذا بهدوء. وهو ما يزال متمسكًا بحضنها كآخر أمل له في الحياة.

(4)

شعر بالحاجة إلى منطقة دافئة يرجع إليها، والبعد عن كل المنغصات التي مرت به في حياته، السبع سنوات الأخيرة المدمرة التي قضت على الباقية منه من الألفة مع الحياة.

شعوره بالاغتراب داخل الشارع والممرّ الذي لم يظن يومًا أنه سيشعر به بهذه القوة.

أبواب المكتبة التي فتحها منذ أيام، يجلس أمامها، يتأمل الممرّ وحركة الرائحين والغاديين، لا يحاول أن يقحم نفسه داخل الحدث، كرسي قديم برجل شبه مكسورة يسنده على الحائط المجاور لباب المكتبة ويجلس في هدوء وكأنه ينتظر أن تهبط عليه صاعقة من السماء تأخذه لعالم آخر.

منذ أيام فتح باب الشقة ليجد أميرة أمامه، لا يعرف كم بكى في حضنها، وهل مسحت دموعه أم أنها ظلت متخشبة لينتهي من بكائه الحار.

دعاها للدخول تطلعت للشقة وقالت إنها ترغب في أن تجلس معه في مكان آخر، تطلعتْ حينذاك للشقة والتراب والعفش الذي يبدو تعبا مثله وفي طريقه للانهيار وكأنها تقول أهذا ما كنت ستقدمه لي؟!

تبعها وأغلق الشقة على ذكريات عمر مضت.

جاء جلوسهما في تلك الكافتيريا ربما لافت للانتباه كثيرا، فهو ما زال يرتدي ملابس عفا عليها الزمن وشرب وهي متأنقة في أجمل صورها، وجهها ينضح بالسعادة والحبور، بينما وجهه هو ممصوص شاحب.

ابتسامتها الخفيفة التي تشعر أنها تتغلغل روحك ربما جذبت العديد من الأنظار إليهما، لكن الأمر خف بعض الشيء بعد فترة وكأنما الظاهرة اختفت، هل تحول لظاهرة، لا يعرف ما الكلام الذي أطلقته ساعاتها، كانت عيناه الضيقتان تتأملان عينيها الضاحكتين، ما فسره في النهاية أنها أصابها الفضول لمعرفة ما جرى له وأين اختفى طوال السنوات السابقة ولماذا عاد، وما الذي يريده منها الآن أو يطمح في الوصول إليه، إشارات وإشارات أن علاقتهما منتهية من مدة. فلا داعي لتجديد الأحزان، لا مانع أن يظلا أصدقاء لكن من حين لآخر، لا داعي لكي يقتحم حياتها فإنها زوجة الآن وأم لطفلين، وسعيدة مع زوجها، لم يتطرق الحديث للزوج لم يكن يريد أن يعرف من أحتل مكانه في قلبها، لا يريد أن يعقد مقارنات، فهو في منطقة بعيدة عن المقارنة الآن. الأفضل أن يبتعد وللأبد، ابتعاد مشروط ربما بمقابلة في يوم ما لن تتم، لا يعرف كيف قام وقتها ودفع الحساب برغم إصرارها على أن تدفع، لكنه ترجاها أن يكون آخر لقاء بينهما يشعره بشيء من رجولته، إلى أين يذهب الآن حتى أميرة أصبحت حلمًا مستحيلاً، ليعد إلى الممرّ يحتضن ناسه ويحتضنوه يجوز أن يكون هذا حلا لفترة قادمة.

يقف طفل أمامه ويطلب كراسة وقلمًا جافًا، يقوم ليجلب للطفل ما أراده، يتأمل الطفل، يشعر أنه يعرفه، يسأله ابن من؟ يجيب الطفل وينصرف، بينما تتسع ابتسامته هو، أما زال كمال يعطي للممرّ طفلا كل عام ألا تشبع زوجته، الغريب كيف يفعلها؟

كمال كان أخصائيا اجتماعيا في مدرسة التجارة بنات القريبة من الممرّ، لا يعرف متى تحديدًا أتُهِمَ كمال، لكن المعروف للجميع أن

البنت يتذكر أن اسمها تغريد، قالت إنه مارس معها الجنس في غرفة الناظر بعد انقضاء اليوم الدراسي، وإن كمال صمم وقتها على غرفة الناظر وليس غرفته لأنه كان يكره الناظر لأقصى درجة، لا تعرف تغريد هل غرد كمال على جسدها تغريدته الأولى لبنات المدرسة أم أن هناك من سبقها إلى حجرة الناظر معه، الغفير كان كمال قد سربه ليقضي له أمرًا وكان معروفا إن الغفير سيتأخر، لكن اللعنة على سندوتشات الفول والطعمية، التي كانت السبب في أن يشعر الغفير بوجع في بطنه فيعود بعد ذهابه بقليل ليدخل الحمام، وحمام الناظر هو الحمام الذي يليق بالغفير وليس حماما آخر، قال الغفير في التحقيقات أشياء كثيرة قال إنه أمسكهما متلبسين عاريين على مكتب الناظر، والبنت تغريد في شبقها تحتضن جسد كمال بساقيها ولا تريده أن يقوم عنها حتى بعد دخوله عليهما، ولكنه غير أقواله بعدها وقال إنه ضبطهما في الحمام عاريين تماما ويتبادلان القبل تحت انهمار مياه الدش، ثم غير أقواله عندما اجتمع بالناظر وقال إن كمال كان يجلس على كرسي نصف عار والبنت عارية وتجلس فوق حجره صاعدة هابطة، وغير وغير، وبدل أقواله حسبًا للمدرس السائل أو المُدّرسة، ولكنه لم يغير قط قوله أنهما كانا عاريين ويمارسان الجنس، وتحول كمال للنيابة، وفجأة فاجئ كمال الجميع بإصابته بالجنون، وأودع لفترة في مستشفى الأمراض العقلية، لكن الغريب أن هناك واسطة ما تدخلت ليعود كمال للمدرسة ويقبض مرتبه، لكنه لا يذهب، إجازة مرضية طويلة، تجدد كل فترة، يذهب كمال للمستشفى يتلقى العلاج والجلسات الكهربائية ويعود، وكل سنة يرزق بمولود جديد يوهبه للممرّ.

يتطلع للأطفال الذين يلعبون بجوار المكتبة ويتأمل وجوههم، من منهم ابن كمال، هذا الطفل يشبهه، لا هذه الفتاة أقرب للشبه، لا

داعي ليشغل تفكيره يحتاج لكوب من الشاي، لقد أتى بموقد صغير وأكواب حتى لا يغلق المكتبة ويذهب للمقهى، الرزق قليل هذه الأيام، والخطوات على المكتبة قليلة ولكنه يعتمد على الصبر، ليكن كحارس عليها حتى تمر الأيام الصعبة، أنه يحتاج لبضاعة جديدة، فما يأتي من وراء المكتبة بالكاد يجعله يعيش، الشقة أيضا تحتاج لإصلاحات، لقد عادت المياه دفع المتأخر، النور لم يعد بعد ،ولكنه سيحاول أن يعيده في أسرع وقت حتى وإن لم يكن الظلام يخيفه، لا يعرف لماذا عاد يتذكر كمال وهو يرتشف الشاي، شيء في الطفل ذكره به، وربما كمال نفسه ذكره بشخص عزيز عليه، عبد الباري كيف ينساه، يجب أن يسأل عنه، ولكن أين؟

القسم يذهب ليجلب عنوان عبد الباري منه ومن يضمن له أن يعود هو من هناك.

لا لو كانوا يريدونه مرة أخرى ما تركوه ليفتح المكتبة ويستقر في الممر، الغريب بالفعل هو موقف حسين منه، سأل عليه فقالوا إنه ذهب في رحلة عمل ، فلديه شركة سياحية كبيرة وهو كل سنة يذهب مع فوج للسياحة ، أراد أن يعرف كيف لحسين كل هذا ولكنه اكتفى بالصمت حتى جاءت الأجوبة فجاء عندما كان يجلس على المقهى وصاحبه يقلب قنوات التلفزيون، لتصطدم عيناه بوجه حسين يطل عليه من قناة فضائية، وهو يتحدث في أشياء كثيرة ويردد الكثير من النصائح، اللعنة، حسين! .

التلفزيون! نصائح!

ما كل هذا الجنون؟

شعر أنه غاب مئات السنوات وليس سبع سنوات.

أصبح الممر نفسه لغزًا جديدًا في حياته، لغز يحتاج لعبقري لكي يفك شفرته، الوجوه هي نفسها، ولكن الأشخاص الذين يحملون نفس الوجوه القديمة لم يكونوا نفس الأشخاص وكأن هناك عالمًا آخر قد استولى على الحارة والشارع، شعر للحظة أن كل الجنون لا يساوي شيئا بجوار وجه حسين الذي طل عليه من التلفزيون وأصبح ملازمًا له.

يغلق الدكان يسير في الممرّ، يتطلع للبيوت حوله، يحاول أن يخترقها بعينيه، يريد أن يعرف إلى أين ذهب أهل الممر الذين كان يعرفهم وكيف بدلوا هكذا؟

أنه لم يقابل ياسر للآن، قالوا إنه يخدم في محافظة أخرى وتزوج هناك ولا يعود لهنا إلاّ زيارات من وقت لآخر، سينتظر فربما كان لدى ياسر الأجوبة التي احتار فيها.

لم يتخيل قطّ أن كل الإجابات التي كان يحتاجها سيخبره بها كمال.

الشقة والظلام الذي يصطدم به بمجرد دخوله، اعتاد أن يسهر في الشرفة على ضوء العامود القريب يتأمل الشارع والممر، يتأمل حركة الغادي والرائح وكأنه يقيس حرارة الشارع بانسياب حركة الناس فيه.

كل وجه يراه وكل حركة يحاول أن يتذكر صاحبها، الغريب أن بيت العربجي لم يفتح من يوم عودته، وظلت أبوابه مغلقة أمامه، كان يريد أن يسأل ماذا حدث لصباح وأين هي الآن، أحيانا تنتابه رعشة وهو يفكر فيها، يتذكر أيامه معها برغم قلتها ولكن صباح كانت حياة، حياة صاخبة بعنفوان ونزق وشهوة، حياة يحتاج إلى جزء بسيط منها الآن، جزء يثبت به لنفسه أنه ما زال حيًا، وفي استطاعته أن يعيش. ولكن البيت ظل مغلقا، وصباح مختفية.

لا يعرف متى نام في مكانه ولكنه انتبه فجأة عندما تزحلقت يده عن سور الشرفة وكاد يسقط عن الكرسي المتهالك تحته، هزّ رأسه وقام متثاقلا وأخذ طريقه للداخل كان ما يزال ينام على كنبة الصالة، الغرفة تحتاج لتنظيف أكبر، يكتفي بمسح التراب حول الكنبة وفوقها ويرمي بثقل جسده، ويذهب في النوم.

يشعر أنه يحلم وهو يرى كل هذه الوجوه تطارده في الحلم، أكل هؤلاء اشتركوا معا ليرموه في غياب السجن سبع سنوات. مستحيل أن يكون الجميع ضده. كوابيس متقطعة ووجوه يحاربها وأخرى يخضع أمامها ذليلا منكسرًا.

ويأتي النهار ليصطدم أول شعاع شمس بجبهته العريضة، كان قد أختار زاوية للنوم تجعل الشمس تصطدم في وجهه فلا يجد بدًا سوى القيام. طقطق رقبته وقام للحمام، شعر بالمياه تغمره، غير ملابسه الداخلية فلقد أتى بالأمس بملابس جديدة، يريد أن يحرق ملابسه الداخلية القديمة، كومها في كيس أسود سيأخذه في يده ليرميه وهو نازل، عليه أن يذهب للكهرباء اليوم حتى يدفع المتأخر عليه ويعيد العداد، طالب بتقسيط المبلغ فوافقوا، وأخيرًا مع أخر زبون للمكتبة أمس أكمل القسط الأول، لتمشي الحياة خطوة بخطوة.

نزل وتطلع للشارع الذي كان يموج بالحركة وقتها يريد أن يفطر أولا، تخلص من الكيس الذي يحمله وبه ملابسه الداخلية في أقرب صندوق قمامة، وتوجه للمطعم القريب طلب طبقا من الفول وقرصين طعمية وباذنجان مخلل، وراح يأكل إفطاره بسرعة، يريد أن يلحق شركة الكهرباء قبل الزحام، قام وهو يضع قرص طعمية في نصف رغيف وراح يأكله وهو يتوجه لمحطة الأتوبيس، انتظر حتى جاء الأتوبيس مشحونا بالبشر رمى بجسده بداخل الأتوبيس يشعر بدفع

الأجساد له، يقبض بيد على المتبقي من نصف الرغيف ويضع يده الأخرى على جيبه الذي به مبلغ القسط لا يريد أن يسرق الآن، رأى صبيين يجلسان وبينهما حوار ضاحك، ابتسم عندما سمع أحدهما يتندر على حرص أبيه وتوفيره، حتى أن أباه كان يرغب في توفير ليلة الخميس التي جاء هو بسببها للحياة، اتسعت ابتسامته أهكذا يتكلم فتيان اليوم، غادر الأتوبيس عندما جاءت محطته، كان قد ازدرد أخر قطعة من الرغيف، دخل مسرعًا وراح يتنقل من مكتب لآخر حتى أنهى الإجراءات ووعدوه أن يعود النور نهاية الأسبوع، تذكر بغتة عبد الباري، لماذا لا يحصل على عنوانه من هنا أنه يعرف اسمه كاملا سيسأل إن كان هناك فواتير متأخرة عليه، قالوا ليذهب للمركزية يسأل هناك فهي التي بها الكمبيوتر الرئيسي، ولا تبعد سوى عشر دقائق بالتاكسي، قرر أن يذهب مشيًا.

دخل الوحدة المركزية للفواتير واستطاع بسهولة أن يحصل على عنوان عبد الباري وبالفعل كان هناك فواتير لم تدفع، لم يهتم أهتم فقط بالتأكد من العنوان، سيزوره قريبًا، أوحشه عبد الباري وكلامه معه، ولكن عليه الآن أن يعود ليفتح المكتبة حتى يستطيع أن يجد ما يعيش به، وعاد مشيا لمحطة الأتوبيس القريبة، وانتظر لفترة حتى جاء أتوبيس يحمله لمكان قريب من الممر.

كل العقبات ستذلل عليه فقط ألا يستسلم للحزن، سيبحث عن من رماه في السجن عندما يقف على قدميه مرة أخرى وقتها لن يرحمه مهما كان.

الممر أخيرا أمامه، يفتح المكتبة، يرش أمامها بعض الماء، يجلب الكرسي المتهالك ويسنده للحائط ويجلس منتظر الرزق. وظل في مكانه داخلا طالعا حتى منتصف الليل. وعندما كان يهم بالإغلاق وجده

أمامه. بلى إنه هو. كمال بشحمه ولحمه، ابتسم لكمال الذي بدا وجهه مذهولا للاشيء، سأله ماذا يريد، قال سيجارتين، عزم عليه بسيجارة ودعاه للجلوس، وقال له إنه لا يبيع السجائر، أخذ كمال السيجارة وانصرف من أمامه بهدوء ولكنه تشبث به ودعاه للجلوس معه.

لا يعرف كم ساعة مضت وهو وكمال في حديث لا ينتهي، لم يتطرق الحديث لجريمة كمال السابقة مع الطالبة، لكن كمال طرحها بنفسه بعد فترة وقال إنها كذب وإنه هو من مسك الناظر متلبسًا مع الطالبة ولكن الناظرة وأعوانه استطاعوا أن يجعلوه هو الجاني. هل هذا معقول؟ أم أنه جنون جديد لكمال يرفض به الجريمة التي أودت به للجنون، يشعر أنه يصدق كمال،فهو أيضا دخل السجن دون جريمة . وعندما تطرق حديثهما لحسين والتلفزيون وشركة السياحة، قال كمال بنفس هدوئه الغريب "صباح". " البت صباح " وقام لينصرف. أمسك هو فيه أكثر أن يوضح كيف؟

جاءه الكلام عجيبًا يدل على جنون أكثر ولكنه أقرب للواقع أو هو الواقع.

قال أخيرا وقع حسين على الشخص المطلوب، وبالفعل كان هذا الشخص هو المحول لحياة حسين بالكامل، عندما وقع بين يديه وبراثن صباح حيث أصبح لا يستغني عنها وأصبحت زوجته بعد مدة من المتعة الحرام، هذا الشخص هو السر، فهو من يملك المحطة التلفزيونية التي يعمل بها حسين وهو ثري عربي يمتاز بأن يده بذخة على محبيه، وهو من أخذ حسين لطريق التلفزيون والدعوة ربما تكون هداية حسين حقيقية، وربما لا، السر كله في سرير صباح، ذاك السرير الذي يجمعها بالثري العربي شهرين في السنة. قال إن كمال

من حكى له زمان وهو يعرف أنه حتى لو حكى للناس فلن يصدقه أحد ولكنه كانت ليلة حشيش وزاد فيها البوح ..

وعندما غادره كمال كان هو ما يزال يفك طلاسم الوهم والحقيقة، لا يعرف أيهما أقرب للتصديق. أعطاه كمال عنوان صباح لأنه لفترة كان يتردد عليها لأنها كانت تريد أن تبيع البيت القديم وهو كان يعرف مشتريًا ولكن الصفقة لم تتم بسبب حسين. فحسين كان في رأسه صفقة أخرى للبيت. يريد هدمه وبناء مجمع على أرضه. مجمع خيري.

كان عليه أن ينتظر عودة حسين ليتأكد مما سمعه ولكن حتى لو تأكد ما الذي يفيده، هل يشك أن حسين قد تخلص منه ليخل الجو للثري العربي وصباح أم يكون الثري نفسه هو من فعلها. المهم أنه في تلك اللحظة في جيبه عنوان صباح. وتطلع لورقة أخرى تحمل عنوان عبد الباري. وظل عقله مضطربا قلقًا وهو يغلق المكتبة ويتساءل. أي العنوانين أقرب للذهاب إليه؟

وحاول أن يصل لإجابة ولكنه ظل حائرا والسؤال مطروح بشدة. صباح أم عبد الباري؟

***

هل من الممكن أن يحدد خطواته القادمة بناء على كلمات كمال، لماذا لا يكون كمال مخرف وما قاله ليس له أي أساس من الصحة، كان يحدث نفسه وهو يتمشى في طريقه إلى أول الشارع العمومي.

من الأفضل أن يعطي لنفسه فرصة للتفكير، لا يريد مشاكل جديد، يكفي ما مرّ به طوال الفترة السابقة، وجد يده تمتد إلى جيبه ليخرج الورقة التي بها عنوان عبد الباري، الطريق إلى عبد الباري قد يكون أسهل الطرق اليوم، بعيدًا عن صباح وحسين وكل جنون الممرّ.

ساعة تقريبًا مرّت. حتى وقف أمام بيت شبه متهالك من ثلاث أدوار، له شرفة خشبية تدل على ذوق قديم لأصحابه، وقف متأمله لدقائق حتى لمح ذلك الصبي يمر بدراجته ويكاد يصطدم به وسأله عن عبد الباري هل يسكن هنا، فأشار الفتى إلى مدخل البيت وهو يقول:

- الأوضة التالتة جوة.

لاحظ أن مدخل البيت عبارة عن ممر أيضا كأن الممرات لا تنتهي ، به ثلاث غرف على اليمين، وثلاث على اليسار، وهو يتحرك بالداخل لاحظ أن الغرفة الثالثة على اليسار عبارة عن حمام وملحق بها مطبخ، بينما هناك سلم خشبي قديم في نهاية الممر يقود إلى الدور الثاني، للحظة أراد التراجع فلا شيء هنا يجعله ينتمي للمكان أو لأصحابه، ولكن ذلك الشعور الداخلي المتنامي برغبته في رؤية عبد الباري جعلته يقترب من باب الغرفة الثالثة ويطرق بابها، جاءه بعد وهلة صوت سعال من الداخل وصوت مشروخ يسأل عن من الطارق، فأجابه بأنه زميل السجن، فقد عرف بالفعل صوت عبد الباري.

كان الظلام خانقًا وعبد الباري يفتح باب غرفته فيطل ظلام من الداخل، شعر هو بثقل ذلك الظلام كما لم يحسه من قبل، وكأن عبد الباري قرر أن يحول غرفته لزنزانة خاصة به، لم يعرف من فيهما ارتمى في حضن الآخر، ولكنهما بعد لحظات كانا يجلسان على المقهى في أول الشارع يستعيدان ذكريات السجن، الغريب أنهما كانا يستعيدان الذكريات بحيادية تامة وهدوء وكأنها ذكريات أشخاص أخريين لا يمتون لهما بصلة.

قال له عبد الباري أنه أحيانا يشتاق للسجن، فبالسجن رغم كل شيء هناك وضوح لحد ما، حتى ولو كان وضوحًا سيئًا شريرا أما في

الخارج الآن فكل شيء ملخبط، لا تستطيع أن تمسك شيئا حقيقيا بين يديك وتقول ها هو ذا.

ضحك بشدة من كلام عبد الباري وهو يسأله هل تحول لفيلسوف، وهل انتهت السياسة من حياته.

أصبحا سويا على الكورنيش بعد ساعات وعبد الباري يدفع عربة خشبية يلمع فوقها الترمس ويحيط الترمس عدة قلل مملوءة بالماء. بينما لاحظ هو أن عبد الباري بدل القراطيس الورقية بأكياس شفافة. قال عبد الباري أنه طلق السياسة فقد خرج من السجن ليجد زوجته قد ماتت وابنه الوحيد لا يعلم له مكان، وأن السياسة قتلته حقّا فهو لا يعرف كيف يعيش الآن. يكتفي بالفرجة على الحياة، ربما يوما يكتشف ما أصابه هل كان يستحقه أم لا.

حكى لعبد الباري عما مرّ به من يوم خروجه، قال له عبد الباري أن من الأفضل أن يعكف على المكتبة ولا يشغل باله وعقله بمن كان السبب في سجنه ولماذا تغيرت الناس، فالناس الآن تتغير كل ساعة وربما كل نصف ساعة، ولو كان هناك دقة لقال إنهم يتغيرون كل دقيقة. الأفضل أن يبعد بنفسه عن الناس حتى يجد مخرجا لحياة آمنة. فلا شيء آمن وسط هذا الجنون الحاصل حولنا.

إنه حقًا لا يفهم لماذا أصبح الناس بهذه القسوة، شيء في أعينهم وتحركاتهم وحتى تنفسهم للهواء أصبح قاسيا وكأنهم يخافون أن يقتسم أحد معهم الهواء.

عبد الباري تحول لفيلسوف كبير، هذا ما قاله لنفسه وهو يودعه في نهاية اليوم، مع قول أنه سيزوره مرة أخرى في أقرب فرصة، الغريب أن شيء بداخله قال له إنها أخر مرة قد يرى فيها عبد الباري.

شعر ببرودة الجو فجأة وهو يتجه إلى محطة الأتوبيس، يحتاج لنوم طويل يستعيد فيه نفسه ويقرر هل عليه أن ينفذ وصية عبد الباري ويرمي الماضي بكل جنونه وراء ظهره أم عليه أن يبحث عن ذلك العدو الوهمي الذي رماه في السجن سبع سنوات.

راحت الذكريات تطارده بعنف تاركة داخله ألم بلا حدود وهو يحاول أن يدفئ جسده من ذلك الصقيع الذي راح يزداد بعنف ويجعل جسده يرتعش بشدة ولم يشعر بنفسه إلاّ وهو يحاول أن يستند إلى حائط بجواره قبل أن يسقط أرضا.

(5)

لم يعرف كم مضى عليه وهو ملقى بجوار الحائط مسجى على الأرض، الغريب أن لا أحد اقترب منه أو أهتم برجل فاقد الوعي، ارتعش جسده وهو يتحامل على نفسه ويفيق من سقطته، لأول مرة تصيبه هذه الحالة، قال لنفسه ربما لأنه نسى أن يأكل طوال ساعات قضاها في البحث عن عبد الباري والجلوس معه.

نظر للمارة الذي كانوا ينظرون له الآن وهم يعبرون بجواره وكأنهم يتساءلون ويعتبون عليه أنه رجع للحياة، لقد صادفه كابوس مرعب وهو فاقد الوعي، لقد رأى شوكت وهو يعذبه ويعلقه بحبل مقلوب جسده لأسفل، ورأى زينب وأمها وهما ينخسان جسده بأسياخ حديد محماة، بينما صباح تنبش أظافرها في عنقه وتبتسم في وحشيه نصفها الأسفل عار تماما، ويد شوكت تضرب عليه من وقت لآخر، بينما سلوى وأمها يمسكونه من وسطه وبيدهما سكاكين يقطعون بها في لحمه، بينما تقف أميرة مبتسمة في سعادة وتطلق ضحكات عالية، سواد يحيط به وهم يدفعونه نحو صندوق خشبي ويستعدون لغلقه وهو بداخله ، وقتها ارتجف جسده بشدة وأفاق؛ ليجد نفسه مرميًا بجوار الحائط ككيس قمامة لا حاجة لأحد به.

كادت الدموع تفر من عينيه وهو يقوم متحاملا على نفسه ناظرًا للشارع ولضوء النهار الذي يعلن بداية يوم آخر في حياته لن يكون أكثرها بشاعة.

شعر بجرح بسيط في جبهته إثر اصطدامه بالأرض، وشعر بملمس الدماء المتخثرة تحت يده وهو يتحسس رأسه.

انطلق في طريقه غير عابئ بشيء، لتقم قيامته في تلك اللحظة، هل هناك جحيم أكثر أن تكون غير مرئي، لا أحد يشعر بك أو يرغب في تواجدك، لماذا أخرجوه من السجن، لم يقولوا له لماذا أدخلوه وفي نفس الوقت لم يقولوا لماذا أخرجوه. المهم أنه الآن بالخارج. وما أشبه الخارج بالداخل كلاهما جحيم. ربما جحيم السجن معروف أما هذا الجحيم عليه أن يعتاده ويعيشه كل يوم. جحيم الانتظار والتفكير في سبب كل ما حدث له وما يزال يحدث.

من؟ من السبب في كل هذا؟

أخذته قدماه إلى الممر في النهاية، والمكتبة وجد نفسه يفتحها ويسحب كرسيًا ويجلس أمامها، بعد فترة مرّ من أمامه كمال مبتسمًا. ولم تمر دقائق حتى قذف كمال في حجره بكيس مملوء بالسندوتشات وهو يقول بفم مفتوح لآخره: كلْ. كلْ.

وجد نفسه يبتسم وهو يفتح كيس السندوتشات ويأخذ رغيفًا محشوا بالفول ويقضمه بشهية مفتوحة .. لأول مرة يعطيه أحد شيئا ولا يرغب في شيء بالمقابل. حتى لو كان من أعطاه هذا الشيء مجذوب فهذا يدعوا أيضًا للسعادة، من السعادة أن يشعر بك المجاذيب فهم أكثر شفافية من كثيرين يظنون نفسهم عقلاء .

راحت الخواطر تترى إلى عقله وهو يواصل قضم السندوتش، وعيناه تتابعان كمال الذي صعد لشقته، ورآه يراقبه من الشرفة مبتسمًا في سعادة.

ساعات تمرّ وهو على جلسته، عقله معه وليس معه، يشعر بطاقة رهيبة من الكره تتكون بداخله، كره لأشياء رغبها في يوم من الأيام،

وكره لأشياء ما يزال يرغبها، طاقه الكره تكبر وتكبر ثم تلاشت فجأة وكأنها لم تكن. تعجب من نفسه عندما وقف فجأة وهو يشعر بصفاء ذهني غريب وأنه تقريبا لا يتذكر شيء أي شيء.

هزّ رأسه بعنف هل فقد ذاكرته. طرد ذلك الخاطر وهو يغلق المكتبة ويتجه إلى شقته، لاحظ منذ يومين تلك القطة السوداء التي فردت جسدها أمام باب الشقة، قفز من فوقها وهو يفتح الباب حتى لا يزعجها، يتخيل أنها جن، يخاف القطط السوداء طوال عمره، ويتشاءم منها.

لم يكن أمامه حل عندما سمعها تموء بعد دقائق من دخوله الشقة إلا أن يخرج لها طبقا مليء بالماء، مع طبق به عظام متبقية من وجبة أكلها أمس. وضع الطبقين أمامها وأغلق الباب، صمتت القطة، وساد هدوء رتيب ممل، صار يخنقه.

لم يعتد الهدوء منذ زمن، الصخب حوله وبداخله. سبع سنوات من الصخب الخارجي والداخلي كفيلة بأن تقتل لديه أي إحساس بالهدوء والحاجة إليه.

يتذكر عندما كان في الجامعة كان يحب التمثيل، انضم لفرقة الجامعة، يتذكر بعض المسرحيات بأسمائها، تلمع في ذهنه حاليًا اسم مسرحية طالما تذكرها كثيرًا من قبل القاتل خارج السجن. ما الذي يفعله القاتل خارج السجن، بينما هو الذي لم يقتل أحدًا داخل السجن.

حلم لفترة ما أنه سيصبح نجمًا سينمائيا، وأنه سيعتلي خشبة المسرح ليقول ذلك "المونولوج" الطويل عن الظلم وعن الفقر، وسيدوي التصفيق في كل أرجاء المسرح، ستخطفه السينما، فيغيب عن المسرح لسنوات، سيقول في الجرائد إن المسرح هو عشقه الأول

والأخير ، وإنه يوما ما سيعود ليعتلي خشبته من جديد، لن يخبو نجمه سيظل نجمًا لامعا في سماء الفن.

ضحك بشدة وهو يتذكر ذلك العبث الذي زرعته بداخله الأفلام القديمة وخصوصًا الأبيض والأسود التي كانت تتحدث دوما عن رحلات الصعود والنجاح في حياة الأبطال.

تذكر بغتة أنه منذ جاء إلى الشقة لم يفكر أن يفتح التلفزيون. حاول وهو نائم على الكنبة في الصالة أن يتذكر أين يكون التلفزيون، ربّما وضعه خاله فوق الدولاب وسط تلك الصناديق الكثيرة فوقه، والتي منذ جاء للشقة لم يحاول أن يبحث وسطها عن أي شيء أو يكتشف ما بداخلها.

لا حاجة الآن ليقف؛ ليبحث عن التلفزيون، غدًّا أو بعد غد أو بعد شهر ليس مهمًا.

لا شيء حقيقي مهم في حياته الآن. كلها أوهام تضرب رأسه من وقت لآخر، حتى ظهور حسين بهيئته الجديدة وذقنه وذلك البرنامج التلفزيوني الذي يدعو إلى الفضيلة وما شابه. وهم كبير!

يتذكر أنه سمع من كمال عن جمعية كبيرة يترأسها حسين. كمال برغم جنونه ولكنه يقول أشياء كثيرة حقيقية لا يعرف كيف يتحصل عليها. ربما يجلس وسط الناس ويستمع بهدوء وهم يظنون به الجنون كالعادة فلا يخفون أي شيء أمامه، ما الداعي أن تخف سرًا عن مجنون!

سمع صوت القطة تموء بقوة، جعلته يجفل وهو ينظر ناحية الباب، وقف واتجه للباب فتحه، وجد القطة واقفة أمام الباب، وأخذت تتمسح بقدمه وهي تموء تريد الدخول، تطلع لها ولكنه خرج، أغلق الباب خلفه وهو يلقي عليها نظرة قبل أن يهبط السلالم مسرعًا.

لا يعرف مما يهرب، ولكنه يشعر بحاجة ماسة إلى الهروب الآن. أشياء كثير تمور بداخله وتلهب كيانه وتجعله عرضة للانفجار في لحظة .

لم يعرف كيف وصل إلى باب المكتبة، وقف أمامه، رفع الجرار وفتح الباب وسحب كرسيا وجلس أمامها، كانت الساعة تقترب من الثانية صباحًا، ليلة باردة بعض الشيء، وجد يدًا تربت على كتفه، رفع عينه فرأى كمال واقفا فوق رأسه وفي يده سيجارة..

جلس كمال على الأرض أمامه ومد يده بالسيجارة ناحيته وهو يقول:

- اشرب. صنف ممتاز

نظر للسيجارة وليد كمال الممدودة بها وهو يقول:

- إيه ده؟

- حشيش. صنف على أبوه. اشرب متخفش.

أخذ السيجارة وقلبها بين يديه وهو يقول :

- وهخاف من إيه. خربانة خربانة ..

- ايوة كده. روق. شد.

راح ينفث الدخان وهو يراقب كمال الجالس أمامه على الأرض، والذي أخرج قطعة حشيش أخرى راح يفركها بين يديه قبل أن ينعمها بالنار، ثم فركها وسط التبغ، وأخرج ورق البفرة.

وقال وهو يلف السيجارة:

- أحلا حاجة الورقة الرزلة مع الحشيشة دي.

حاول أن يستجمع كلمات ليقولها ولكنه شعر بنفسه يضحك بعنف دون سبب.

- إيوه كده انطلق، سمعنا ضحكتك يا رجل.

- هو حسين؟

- مش وقت حسين خالص دلوقتي. اشرب وانسى. هو أسبوع وجاي..

- أسبوع؟

- آها. اسبوع. ابقى افتكره بعد أسبوع. اسحب يا رجل.

خرجت الكلمات مبعثرة من بين شفتيه ومن وسط ضحكاته

- اصلها صعبة.. حسين.. الدقن.. صباح.. انت فاكر.. ياسر.. التالت بتاعنا.. صباح الرابع بتاعنا... انت رحت المستشفى قريب؟

عرفت كمال أنه يسأله عن مستشفى الأمراض النفسية فأجابه:

- من فترة. كل شهرين تلاتة لما الحالة تزيد بروح.. شد..الدكتور بيقول هلاوس وانفصام. وفيه واحد دكتور تاني بيقول اضطربات نفسية وتوهمات نوعية وكلام كبير انجليزي مش بحفظه.

نظر له بعينين متسعتين وهو يهمس دون سبب :

- بس أنت كويس؟

- مش دايما. يعني ساعات وساعات.

ضحك وهو يهمس كأنه يقول سر :

- بس انت عارف أنك مجنون؟

انطلقت ضحكة كمال عنيفة صاخبة وهو ينظر تجاه الكرسي والجالس أمامه.

- عندك بوتجازعين واحدة في المكتبة صح؟ وشاي وسكر. نعلي يا معلم ونتكلم.

- جوه.

- خد كمل السيجارة دي. عشان اللي معاك خلصت خلاص.

ناوله سيجارة مشتعلة ملفوفة ودخل المكتبة ليعد أكواب الشاي. جاء صوته من الداخل مكتوما وهو يقول:

- رحت لصباح ولا لسه؟ لو عاوزني أروح معاك أروح؟

نظر للسيجارة المشتعلة بين يديه ولم يرد.

***

أطلق زفرة حارة ثم أخذ نفسًا من السيجارة الملفوفة وراح ينفثه فوق رأسه، كمال كان بجواره منذ قليل أين اختفى؟ سمع صوتا كسرسوب ماء يرش بجوار حائط، وسمع صوت كمال وهو يقول:

- معلشي. الزنقة وحشة.

ابتسم ثم انطلقت ضحكتة بقوة ، ما الذي يرغبه من كمال حقًا، ما الذي لدى هذا المجنون وليس لدى الآخرون، هبت رائحة بول عنيفة بغتة.

توقف عن الأسئلة التي كانت تأتيه فجأة لتفسد عليه حالة الانتشاء بالحشيش. وجد نفسه يقول بصوت هادئ :

- حلو.

- مش قلت لك. حشيشة حلوة وناعمة ودماغ من الآخر. الحاجة الوحيدة اللي مخلياني عايش لدلوقتي.

قال هامسا :

- عايش! ليه؟

أجابه كمال بهدوء غريب :

- صحيح. ليه؟

انطلقت ضحكتهما عالية ، راح يتأمل ملامح وجه كمال وكأنه يتعرف عليه لأول مرة.

شيء خطير أن تدرك أن لا شيء حقيقي يحدث لك وكل ما يجري حولك مجرد أوهام.

كمال يعيش وهمًا متصلا بدل من أن يعيش كوابيس لا تنتهي في مستشفى المجانين.

هو أيضا سيحتاج يومًا أن يرمي نفسه في حضن طبيب نفسي. يحتاج أن يقول لا. كفى ما حدث. أريد أن أحيا.

راح يحدث نفسه بأشياء كثيرة وكمال منشغل بلف سيجارة جديدة.

قام فجأة ووضع مفاتيح المكتبة في يد كمال وهو يقول

- ابقى اقفل أنت

نظر له كمال وناوله السيجارة الملفوفة وهزّ رأسه ثم ابتسم في لا مبالاة. تحرك مبتعدًا عن كمال. شيء يجعله يعرف أين يجب أن يكون الآن. هاجس غريب يحركه. لا يستطيع التوقف.

أشار إلى سيارة أجرة على أول الشارع فتوقفت، همهم بكلام ما، انطلق السائق بعدما ركب.

لم يعد يشعر بالبرد، السيجارة في يده مشتعلة راح ينفث دخانها غير مبال بالسائق.

وبعد دقائق ناول السيجارة للسائق الذي ابتسم وهو يقول له:

- صباح الفل.

هزّ رأسه وأراحها على مسند المقعد، خيالات كثيرة لا تتوقف، شلال من الأفكار والرؤى غير المنتظمة تضطرب رأسه، لا يعرف كم من وقت مرّ والسائق يحاسبه ويشير له أنهم وصلوا للشارع.

وقف في الشارع تحت نافذة عمارة يعرفها جيدًا ورفع صوته بالنداء، كان صوته عاليًّا لدرجة كبيرة وهو ينادي:" أميرة؟ أميرة؟ اطلعي أنا عايزك."

تفتحت عدة نوافذ وشرف وطل وجوه عديدة، وصوته يجلجل عاليًّا مرة أخرى مناديًا باسم أميرة بلا توقف.

أخير فتحت نافذة أميرة، أطلتْ من النافذة ونظرتْ له في حيرة بالغة وسمعته يضحك وهو ينظر ناحيتها ويعيد تكرار سؤال عدة مرات:

" أميرة. أنت اتجوزتي مين. اتجوزتي مين؟ "

القت عليه نظرة لم يفهمها وهي تغلق النافذة في وجهه، بينما انطلقت بعض الكلمات من النوافذ تقول له إن يذهب ولا يصح ما يفعله. وأنه عيب كبير.

عيب كبير أهناك عيب أكبر من زواج أميرة. لم يكن سائق السيارة الأجرة قد غادر المكان بعد وكأن هناك شعورا ما جعله يشعر أن زبونه

يجهز لكارثة. بعد دقائق كان هناك شباب يقفون بملابس النوم أمام باب العمارة ويدفعونه ليبتعد عن الباب الذي تعلق به وبحديده. تدخل السائق عندما شعر بأن الشباب سينهالون على زبونه ضربا وترجاه أن يرجع معه. راح يتمتم وهو يغادر المكان

- بس هي مقلتش اتجوزت مين بدالي. مقلتش! صح.

وراح السائق يخبط كفا بكف وهو يدفعه لداخل السيارة متمتما لنفسه

- الله يخرب بيت الأفلام اللي بوظت دماغ الناس.

كان يبكي بشدة في هذه اللحظة. قال السائق بتحفظ

- هرجعك مطرح ما جيبتك هي ليلة سودا.

(6)

كان يجلس في المكتبة في مكانه المعتاد منذ شهور، مل كثيرًا من الأشياء، ورفض بداخله الكثير من الأشياء ولكنه منذ مدة وهو يرضى لسبب ما بالحياة، ربما هي السبب؟

بالفعل لم يكن ينتظر أكثر منها لتعيد له جزء من كيانه الحقيقي، يقولون إن الحب إذا اعتاد زياراتك كثيرا فهو لا يتوقف قط عن المجيء، هذا ما كان يقوله لنفسه وهو ينتظرها في تلك اللحظة، يعرف أنها في الخامسة مساء بالضبط ستمرّ عليه، ستضع عدة أوراق في يده وتطلب منه تصويرها، لقد أصلح آلة التصوير القديمة خصيصًا من أجلها، عندما جاءته لأول مرة وأخذ منها الأوراق وقال إنه سيصورها لها بعد يومين ترجته أن يكون الورق جاهزا في اليوم الثاني.

وقتها جن هو الآخر وجد نفسه يتجه لكمال الذي برغم جنانه أصبح بوصلته في الممرّ، فكمال يعرف الكثير، أكثر مما كان يتصور عقله، لا شيء يخفه عليه، هو من أخذه من يده إلى مهندس في نهاية شارع عجيب، محل صغير وبه شخص لأول وهلة قد لا تصدق أنه قادر على ملء ولاعة وليس إصلاح آلة تصوير مستندات، العجيب حقًّا أن هذا المهندس اصلح الآلة في يومها وأعادها كأنها جديدة تمامًا.

كمال بالفعل معجزة متنقلة، يكفي فقط أن تتجنب حالات توهانه المتعددة وتنتظر اللحظات التي يفيق فيها ستكتشف كنزا خفيا. هذا كان إحساسه حقًّا ناحية كمال.

أما شيماء تلك التي ينتظرها الآن فلقد كان إحساسا آخر متدفقًا بلا توقف. لا يعرف كيف ومتى نسى أميرة أو تناساها من أجل شيماء، ربما المؤكد أنه نسى صباح هي الأخرى.

لماذا دومًا يحاول أن يربط حياته بامرأة؟!

كانت تدخل في تلك اللحظة، بدت خجولة لحد ما وهي تسأل بصوت خفيض هل انتهى من تصوير الأوراق التي أعطتها له أمس، كان قد انتهى فعلاً ولكنه أجل بعض الأوراق حتى يجد فرصة سانحة للكلام معها، هي أيضًا كانت تفهم، ولكنها كأي أنثى مرغوبة تنتظر أن يبدأ الذكر بالكلام كانت تبدو كغبية في هذه النقطة تحديدًا. كانت تنتظر أن ينطقها هو.

لم يحاول أن يسألها كثيرًا عن عملها يعرف أنها تعمل في شركة على بعد ثلاثة شوارع من هنا، وأنها رأت المكتبة بالصدفة وهي تمرّ منذ شهور وهي مفتوحة، فقررت أن تكون زبونة، بالطبع لن تقول إنها مرت عدة مرات ورأته جالسا أمام المكتبة وشيء فيه جذبها وجعلها ترغب في معرفته.

كان قد انتهى من التصوير وأخذ يعد الأوراق ليحسبها لها، ثم مرر في هذه اللحظة يده على يديها، سحبت يدها بسرعة، بدا الأمر طفولي وبه شيء من المراهقة وجد نفسه مدفوعا أن يقول لها:

- عايز أشوفك؟

ابتسمت ونظرت في عينيه وهي تقول بصوت به ارتعاش

- تشوفني. ما أنا أهوه قدامك.

- لا عايز اشوفك برة؟

ارتعش صوتها وبدت مترددة وهي تقول:

- برة فين؟ لأ.

- محتاج اتكلم معاك

- طب بكرة. بكرة أقولك

طارت من أمامه، كانت تقف على باب المكتبة في تلك اللحظة عندما تذكرت أنها لم تدفع ثمن تصوير المستندات ولكنه هزّ رأسه وهو يقول ببساطة

- بكرة. خليها بكرة.

انطلقت خارج المكتبة وقلبها يرتجف بشدة، هناك شيء بهذا الشخص مثير حقًّا. شيء ترغب في معرفة كل تفاصيله.

في تلك اللحظة كان كمال يخترق المكتبة مسرعًا وهو يتمتم بكلمات سريعة، لم يفهم شيئا من كمال، فطلب منه أن يبطئ قليلا من سرعة الكلمات، فقال كمال وهو يحاول أن يحافظ على مخارج حروفه:

- صاحبك رجع. صاحبك رجع.

- صحبي مين؟

- الشيخ حسين.

وانطلقت ضحكة مجنونة من بين شفتي كمال وهو يغادر المكان مرددا بصوت عال الشيخ حسين.

هل كان يحتاج حسين في تلك اللحظة، مرت فترة طويلة كان ينتظر رجوعه، وعندما كان يسأل أحدا في الشارع كان يقول له إن لديه عدة مؤتمرات في بلد عربية وإسلامية وسيعود قريبا.

الأمر مثير لخياله أكثر، ما الذي قفز بحسين هذه القفزة الجهنمية. هل يذهب إليه، سيؤجل الذهاب إليه حتى يقابل شيماء غدًا، فالرغبة في الحب والحياة عادت تراوده، هل سينسى حقّا سبع سنوات من الجحيم، ويعود شخص طبيعي.

ليس من السهل أن ينسى كل شيء، هل سيكف عن التفكير في سبب سجنه؟

منغصات لا تتوقف.

صاحبك رجع، عبارة بسيطة قالها كمال جعلته لا يعرف من أين عليه أن يبدأ، وهل بصدق حسين صاحبه بحق.

إنه لم يختبر تلك الصداقة مرة أخرى منذ خرج. لم تكن هناك فرصة حقيقية ليختبرها، ستأتي هذه الفرصة بكل تأكيد.

والآن عليه أن يهدأ ويفكر ما الذي يجب أن يفعله ليكسب قلب شيماء.

شيء في نظراتها يقول الكثير، الرغبة في الحب مفضوحة للطرفين.

أفكار كثيرة راحت تشعل كيانه وهو يسبح في عوالم متعددة بلا نتيجة.

***

الشقة من الداخل لم تتغير كثيرًا، الأثاث المتهالك كما هو، منضدة صغيرة فقط اشتراها ليضع عليها التلفزيون الذي انزله منذ شهور من

فوق الدولاب، نظف الشقة من التراب الذي كان يسبح فيها أو تسبح فيه.

كنبة صغيرة قربها من الشرفة بحيث يستطيع رؤية الممرّ من مكانه وهو جالس عليها بالإضافة إلى رؤية التلفزيون.

أصبح مدمنا فجأة للأفلام القديم، الأبيض والأسود يثيره، لا يرغب في الفرجة على أي فيلم ملون، لم يكن من قبل يحب الأفلام بهذه الصورة، كان يهرب بالأفلام من الحياة، كمال يأتيه ليلا ومعه إصبع الحشيش الذي حاول كثيرًا أن يسأله من أين يأتي به ولكن كمال يقول إنه رزق ويجب ألاّ ينظر. يخاف على الحشيش من الحسد!

يبدأن الليلة بالكلام المتناثرة بلا معنى، عرف أن كمال لم يفصل من وظيفته بل إجازة مرضية ، بشهادة الأطباء فهو مجنون، ومرتبه يصل كاملاً إليه.

الغريب أن لديه الآن عدد كبير من الأولاد ، امرأته برغم حالته الصحية ترغب دومًا في الحمل والولادة. مجنونة هي الأخرى تحب شكل بطنها وهي مكورة أمامها وتحب الأطفال بجنون. خمسة! إنهم ستة. سبعة . ذكره أن هناك ابنة أخرى شرفت الدنيا منذ شهور، ضحك وهو يناوله السيجارة ويقول إنه لم يكن يتذكرها فحماته من سمتها باسم لا يحبه لذا لا يرغب في تذكرها. يعتبرها منسوبة لزوجته وحماته أكثر مما هي منسوبة إليه. أحمق آخر ولكنه لم يعد يستطيع الاستغناء عنه. عبد الباري أيضا يشرفه هنا في بعض الليالي عندما ينتهي من بيع الترمس على الكورنيش يأتي وهو يحمل سندوتشات كفتة أو فول وطعمية أو فطيرة بالعسل حسبما تكون حالته المزاجية وقتها، ويأتي أحيانا بزجاجة من النبيذ الأبيض أو ثلاث زجاجات بيرة. يقول إنه وجد

فيهم الصحبة، يغيب بالأيام والأسابيع ولكنه يعود دومًا، فهناك شيء يجذبه إلى الممرّ هو الآخر، أصابته العدوى كما أطلق عليها كمال.

في تلك اللحظة كان كمال يناول مجالسه السيجارة المحشو بعدما أخذ منها عدة أنفاس، وارتفع نباح شرس لكلب في الأسفل، كان هناك فتيان يقومان بـ(تشريس) كلب ضخم كما يطلقون هذا المصطلح، أخذ نباح الكلب يتعالى وزمجرته تزداد، الساعة اقتربت من الثانية صباحًا، وقف كمال في الشرفة وسبهم وهو يتأمل أحد الولدين، قبل أن ينتبه أن الولد يشبهه، وعندما قال الولد حاضر يا بابا، أدرك لماذا يشبه هذا الفتى فهو ابنه، فسبه بزيادة بأنه ابن كلب.

وعاد كمال لداخل الغرفة ارتمى على الكنبة وهو يشخر من كثرة الضحك. ثم توقف عن الضحك فجأة وانطلق في البكاء وهو يقول إنه لم يتعرف على ابنه، أنه ملعون ومجذوب.

كان قد وصل إلى درجة النشيج عندما وجد يدا تمتد له بسيجارة الحشيش فنظر لها بفضول عجيب وأخذها وتحول البكاء إلى قهقهة عالية وهو يضع السيجارة في فمه ويتمتم:

- تعرف ابن أبويا هندي؟

- آه من كشمير.

***

اختفت شيماء فجأة، أسبوعان كاملان منذ آخر مرة دخلت المكتبة وهي مختفية. أصابته حيرة بالغة فقد ظن لوهلة أنها قد تكون بداية لقصة حب جديدة يعيشها، قصة ينتظرها بعد كل ما مرّ به.

لا يريد أن يعود لفكرة البحث عن أميرة فقد رفضته منذ زمن وهو من كان يجادل نفسه موهمها بالعكس. ولكن اختفاء شيماء هل وراءه

شيء. هل كان سخيفا آخر مرة لهذا لم تعد.أمن أجل أنه طلب مقابلتها في الخارج ففرت. لا يظن، فهي لم تعطيه هذا الانطباع قطّ.

ذهب إلى مكان عملها عدة مرات وانتظر أن تخرج من الشركة ويراها وتراه.

قفل المكتبة خمسة أيام، وجلس على المقهى أمام شركتها ولكنها لم تظهر.

من الحماقة أن يدخل الشركة ليسأل عنها ماذا يقول لهم لو سألوه من هو وبأية صفة يسأل.

ربّما أثار غضبها وهو في تلك اللحظات بالذات يحتاج أن ترضى عنه لا أن تغضب.

اكتفى بجلسته على المقهى، وعيناه لا تفرقان باب العمارة لعلها تظهر داخلة أو خارجة.

لفترة نسى كل شيء إلاّ شيماء، يبحث في وجوه المارة عنها وكأنه سيصل من خلال الوجوه إلى شخص يشبهها، أخ أو أب يمشي وراءه ليعرف بيتها. ما الذي يريده حقًّا من شيماء، أهي علاقة جديدة تعوضه سنوات السجن أم رغبة ملحة في الارتباط، طرح اسئلة كثيرة على نفسه خلال تلك الأيام التي كان يجلسها أمام مقر عملها، وطرح اسئلة أكثر وسط أنفاس الحشيش وضحكات كمال العالية. ولم يصل لإجابة من أي نوع. الحل؟

كان في عالم آخر من الفكر عندما وجد يد تربت على كتفه، رفع عينيه وجد تلك الابتسامة في وجهه قال وهو يحاول أن يبدو لا مبال:

- حمد لله على السلامة شيخ حسين.

ابتسم حسين في غموض وهو يقول :

- أخبارك إيه وحشني؟

- تمام. رجعت أمتى؟

شعر حسين باللغة الجافة التي يكلمه بها صديقه فرد وهو يبتسم :

- من فترة. معلش انا عارف أني مقصر معاك بس ظروف.

- لا مفيش حاجة أنت مش مجبر.

- لا أزاي الصداقة تحكم.ده عمر بينا . المهم طمني عليك.

كلمات كثيرة وابتسامات بلا معنى بينه وبين حسين، الذي بدا وكأنه يخفي شيئًا لفترة ما حتى قال في النهاية:

- إيه رايك تشتغل معايا؟

نظر لحسين نظرة متسائلة فتابع حسين قائلا :

- فيه قناة فضائية بتفتح جديد وهقدم برنامج فيها ومحتاج حد معايا في التنسيق والإعداد.إيه رأيك؟

شرد ساهما لوهلة وهو يتأمل وجه حسين ثم قال في النهاية :

- حقيقة مش عارف؟

اتسعت ابتسامة حسين وهو يداعب ذقنه وهو يقول :

- عموما هي فرصة حلو لك، خد يومين فكر فيها.. وحتى لو موافقتش انا تحت امرك في أي حاجة..دي عشرة عمر.

هزّ رأسه وحسين يقف ويشد على يده وينصرف وهو يبتسم تلك الابتسامة غير المفهومة وهو يحاول أن يحيط نفسه بهالة من الغموض المتعمد.

هذا ما كان ينقصه أيضا؟ قناة فضائية وبرنامج ديني وحسين!

الحياة أصبحت أكثر من لغز يحتاج لإجابة، بل صارت متاهة أمامه، لا يعرف إلى أين قد يمضي فيها.

عليه أن يفكر جيدًّا. شعر بحلقه جافا، هل عليه أن يسأل كمال؟ ثم طرد الفكرة من دماغه هل سيبني توجهات حياته الآن على شخص مجنون ككمال كل وظيفته في الحياة أن يزحم الممرّ بالأطفال.

لماذا يظن أنه يحتاج إلى شيماء الآن؟ يشعر بأنها هي من قد ترشده كيف عليه التصرف.

حياته تعود له وتهرب من بين أصابعه كل دقيقة.

لم يكن أمامه سوى الانتظار، فربما حدث شيء يجعله يأخذ القرار الصحيح.

ولكن ما هو ذلك الشيء الذي عليه أن ينتظر حدوثه. أسئلة...

حياة وأسئلة.

***

أشعل عبد الباري سيجارة أخرى من الحشيش وهو يتابع بعينيه نشرة الأخبار، قبل أن يطلق ضحكة عالية وهو ينظر لصديقه زميل السجن وضحكته ترتفع أكثر وأكثر، ذلك الصديق الذي لم يعطه المؤلف اسما حتى الآن خوفا من شيء ما، ربما خوفًا من أن يتوه الصديق بتعريفه الآن وسط الرواية، وربما خوفا من الروائي أن ينكشف هو شخصيا ولا يجد جديدًا يقوله، حتى في هذه السطور التي يكسر فيها الإيهام يبدو ضعيفا كمؤلف، فلماذا الآن يقوم بهذه الخطوة.

دعنا من كل هذا ولنعد لعبد الباري وسيجارته المشتعلة ولأنفاس الحشيش التي يحاول أن ينسى من خلالها ما يحدث في حياته، قال صديقه بلا مقدمات:

- حسين عايزني اشتغل معاه في قناة فضائية.

رد عبد الباري وسط شبورة من دخان الحشيش:

- روح.

- طب وشيماء؟

- شيماء إيه؟

- مش عارف.

سحب عبد الباري نفسًا آخر من السيجارة وناولها لصديقه وهو يقول:

- روح

كان كمال ملقى في الصالة على كنبة وقد شرب من الحشيش ما جعله غير موجود على هذه الأرض، عمومًا هو طول الوقت غير موجود على هذه الأرض هذا ما يقوله لنفسه دوما، وهذا ما يقوله الأطباء.هل يُكذب الأطباء ؟

أما بطل روايتنا الذي لا نعرف اسمه للآن كان يحاول أن يفهم هل كل ما يحدث له حقيقي، وهل عليه حقًا الموافقة. كان عليه الموافقة لأمر مهم. على الأقل حتى يستمر المؤلف في الكتابة وإلا توقف وانتهت القصة لهنا، حيث لا شيء يدفعها للأمام ولا رغبة للشخصيات بالمضي في الحكاية. يكفيهم ما حدث لهم في الماضي وليقضوا حياتهم في أنفاس الحشيش. وعلى البطل أن ينسى كل ما حدث له في السجن.

ليتوقف المؤلف الآن عن التدخل في الأحداث وليعتبر السطور الماضية مجرد ملئ صفحات حتى ينتقل للفصل التالي. هيا.

ليكن اسم البطل (ميم) ..

تردد صوت عبد الباري عاليا :

- روح

(7)

كانت السيارة الأجرة التي يستقلها " ميم " تقترب من منطقة الفيلل في تلك المنطقة الجديدة . شيء في داخله كان يقول إنه يدخل على حياة جديدة، ربما كانت خطرة، ولكنها لن تكون أخطر من تواجده السابق في السجن، قال للسائق أن يتوقف عندما لمح رقم الفيلا التي من المفروض أن يدخلها بعد قليل.

منح السائق أجرته، ووقف يتأمل ذلك الصرح الممتد أمامه، السور الخارجي للفيلا يقترب من الكيلو متر، من هؤلاء الناس؟!

لماذا وهو يقترب من شخصين على البوابة يرسم على شفتيه ابتسامة بلهاء، ربمّا تحسبا ألا يستقبلاه بتجهم، يمد يده بكارت ناحيتهما، كان الكارت من الشيخ حسين، تأمله أقربهما تجاهه، ثم أفسح الطريق وهو يشير إلى ممرّ تصطف على جانبه الأشجار،ممرّ آخر مختلف قالها لنفسه..

تردد لوهلة وهو ينظر للممرّ الجديد أمامه بأشجاره المورقة التي لو توقف لساعات ليتأملها لن يعرف نوعها، بعد دقيقة كان يتحرك بصورة آلية حتى وصل إلى فتاة ترتدي ملابس تكشف أكثر مما تخفي، أشارت إليه إلى مقعد في الحديقة وهي تقول بصوت محايد :

- اجلس سيصل من يقابلك.

ما هذا المكان، كان الساعة تقترب من الرابعة مساء، لقد مرّت ساعة منذ وطأت قدماه أرض تلك الفيلا. هناك حركة دؤبة حوله لا تتوقف، بينما هو لا يفهم لمتى عليه الانتظار، هناك من جاء له بكوب عصير، وهناك فتاة رفعت الكوب بعدما انتهى شربه ووضعت أمامه فنجانا من القهوة. الحيرة ليست المعيار الحقيقي لما يدور حوله الآن، الأمر تعدى حدود الحيرة.

من الغباء أن يظهر ذاهلا وسط ذلك العالم، لقد ترك عبد الباري أمس وهو يترجاه أن يزور قبره بعد دفنه، بل طلب منه عبد الباري أن استطاع أن يزرع صبار على قبره. ما بين القبر والحياة، ما هذه الجنة التي دخلها. العديدات يتحركن حوله ويتبادلن ابتسامات خفيفة تشعر أنها مدروسة بدقة بحيث لا تتحول ابدا لضحكة.

تذكر فجأة كلام أحد زملاء السجن عندما قال إن هناك فتيات يقبض عليهم لإشباع رغبة الضباط في ممارسة الجنس. هل أحداهن كانت تشبه أيًّا من الموجودات هنا. مستحيل!

إنه يتذكر تلك الفتاة التي جاءت عدة مرات لتنظف استراحة شوكت باشا في السجن، لقد قالت في يوم ما له إنهم ضاجعوها تسع مرات في يوم واحد ولم يستطع أحد منهم أن يقذف.

اللعنة لماذا يتذكر السجن الآن ويعقد تلك المقارنات الحمقاء، أي عبث قد يحدث أكثر الآن.

الشيخ حسين، وتلك الفتيات الكاسيات العاريات لو صح تسميتهن بلغة الشيوخ ما الذي يجمع بينهن وبين الشيخ حسين.

توقف عن تأمل كل ما يجري عندما جلست فتاة أمامه وهي تقول:

- أمل مجاهد.المساعدة مع حضرتك من دلوقتي. الشيخ حسين مفهمني كل حاجة. شغلنا أنا وحضرتك بسيط جدا. الفيلا هتكون جاهزة بكرة بعد افتتاح القناة الجديدة لحفل كبير، وظيفتنا التنسيق مع صاحبة الفيلا ومتابعة الحفلة، وحل أي مشكلة مهما كانت بسيطة بالتعاون مع إدارة الفيلا. كل شيء معمول حسابه بدقة متناهية. كل ما علينا هو المتابعة فقط. وعدم لفت الانتباه لوجودنا، ندوب بالبلدي وسط الجمهور، نسمع، نشوف، نراقب، رادار لأي خطر محتمل. لأ مفيش اخطار زي ما حضرتك فاهم. بس ساعات الكلام نفسه بيبقى خطر. مع الوقت حضرتك هتتعلم. دلوقتي ممكن تقوم معايا نشوف الفيلا كلها ونشوف غرفة الكاميرات.

كان يتحرك كالمنوم مغناطيسيا، فمنذ وافق على العمل مع حسين وهو لا يفهم ما يحدث حوله، ولكنه يتعلم بسرعة كما يقول حسين.

مرت أربع أسابيع وهو مع حسين كظله، يقول له إنه يحتاج لصديق ثقة. ما يراه الآن يفوق حتى وعيه، هل يوجد أماكن كهذه في مصر؟ متى ظهرت؟ وكيف صارت بهذه الصورة؟

اسئلة كثيرة وهو ينتقل من مكان لمكان داخل الفيلا، أمل تجيب على تساؤلاته وهي تدرك أن من معها ربّما يدخل هذا العالم لأول مرة.

دخل غرفة الكاميرات كان هناك شابان يجلسان وعيونهما تراقب عدة شاشات أمامهما.

وقف الشابان عند دخولهما، أشارت لهما أمل بالجلوس، عرفته عليهما، ثم راحت تشير إلى الشاشات المرصوصة والتي تنقل تقريبا كل حركة تدور في الفيلا، وتوضح أمل له كل شاشة وأيهم الأهم. وأي جزء تنقله من الفيلا. في تلك اللحظة كانت عيناه تراقب تلك الشاشة التي تنقل صورة حمام السباحة، اتسعت عيناه وهو يتأمل تلك المرأة التي

تسبح في هدوء، وتتوقف كل فترة وهي تتناول كوب عصير من فتاة تجلس بجوار حمام السباحة تأخذ رشفة من الكوب وتناوله للفتاة مرة أخرى.

مستحيل أن تكون هي؟!

نفس الملامح، نفس تفاصيل الجسد تقريبا، نعم هناك أشياء تبدو مختلفة لأول وهلة، ولكنها هي، هذا ما راح يردده لنفسه غير مصدق، ما الذي جاء بها لهنا؟ وكيف؟ كاد أن يصرخ باسمها.

إنها صباح، صباح ابنة الممرّ، ابنة العربجي، خمسين جنيه لليوم؟ حسين؟

انطلقت ضحكة مجنونة من بين شفتيه، حاول خنقها وهو يتأمل وجوه المحيطين به، منع شهقة وهو يقول بصوت مخنوق: آسف.

ثم غادر الغرفة وهو يواصل الضحك بصورة غير طبيعية.

خرجت أمل خلفه وسألته هل هناك شيء؟!

اعتذر منها وهزّ رأسه وهو يقول لها أن تعطيه فرصة فقط ليلتقط أنفاسه.. فهو تذكر فجأة شيئا أثار الضحك بداخله ولم يستطع التوقف عن الضحك.

وقفتْ بجواره وهو يحاول أن يستعيد هدوءه ، ثم أشار لها أن تتحرك ، وتحرك هو خلفها بخطوات قليلة كان يريد أن ينفرد بعقله لو لثوان عابرة ، وعقله يقول إن تلك الحياة الجديدة قد تكون مميتة لشخص مثله في النهاية.. وشيء يخبره أن يفر قبل فوات الأوان .

***

يملك هاتفا محمولا الآن اشتراه له حسين لزوم العمل ، ارتفع رنينه في جيبه، فمد يده ووضعه على أذنه وهو يضغط زر استقبال المكالمة، كان حسين على الطرف الآخر يطمئن أن كل شيء صار على ما يرام، طمأنه أن الأمور صارت بصورة جيدة، وأنه فهم كل شيء وجهز نفسه للحفل الضخم، وأنه غادر منذ فترة الفيلا ..

جاء صوت حسين به ضحكة مريبة وهو يقول له إنه يفهم بسرعة، وينفذ دون أسئلة وهذا جيد له.

بالطبع لم يكن لديه قدرة على الأسئلة؟ فحياته نفسها عبارة عن سؤال بلا إجابة.

اغلق الهاتف ووضعه في جيبه، كان كمال يجلس أمام المكتبة وقد فرد رجله على كرسي أمامه، تلقى كمال السؤال المعتاد من بين شفتيه عن شيماء وهل ظهرت، ويتلقى هزات رأس كمال المعتادة بلا.

لقد مرّ هو أثناء عودته على مقر شركتها وتجرأ للمرة الأولى أن يقترب من البواب ويسأله عن مواعيد المكتب الذي تعمل فيه شيماء وهل أتت أم لا، وبرغم الأسئلة الغريبة أجابه البواب عندما وضع في يده عشرين جنيها. ولكن الإجابة كانت بلا فائدة، فشيماء مختفية منذ أيام ولا تأتي، والبواب لا يعرف السبب فربما غادرت الشغل ، لم يسمع أنها استقالت .

يشعر بألم في صدره ولكنه يشير لكمال أن يغلق المكتبة، فمنذ أن بدأ العمل مع حسين أوكل لكمال كل أمور المكتبة، عبد الباري قد يظهر أحيانا ليساعد كمال ثم يختفي ليعود للكورنيش وعربة الترمس، وقد يظهر فجأة وهو يحمل قطعة حشيش تذهب بالعقول يسميها ودع أهلك. ويضحك وهو ينطق اسمها ويقول إنه ودعهم منذ زمن فلا أهل

له، الغريب أنه أيضا لا أهل له، الوحيد بينهم الذي له أهل وعزوة هو كمال، أمر مثير للضحك أكثر.. المجذوب وأبناؤه !

هذه المرة كانت هناك الجوزة، فعبد الباري يريد أن يجرب الحشيش على الجوزة هذه المرة.

وكان هناك كمال يكرس الحشيش ويبتسم. بينما يشد هو الأنفاس وقد شرد في عالم آخر.

تذكر صباح ومنظر خروجها من حمام السباحة ذلك المنظر الأقرب إلى الأفلام.

لم يسأل حسين عنها، لا يريد التسرع، وفي نفس الوقت لا يريد أن يغضب حسين الآن، سأل كمال من وسط أنفاس الحشيش عن صباح وهل يعرف منزلها، بدا كمال ذاهلا وهو يسأل صباح من؟ فهو لا يعرف أحدا بهذا الاسم...

اطلق سبابا عاليا وهو يذكره بصباح بنت العربجي وبيتها الجديد الذي قال إنه يعرفه، انفجر كمال في الضحك وهو يؤكد أنه لا يعرف أي شيء عن صباح وأنه لا يتذكر أنه تكلم بخصوصها معه من قبل، وشرد وهو يسحب أنفاس الحشيش ، وعاد كمال للضحك وهو يقول إنه مجنون وبشهادة الأطباء، وبالطبع يستطيع هو أن يتأكد.

ربما أخبره عن صباح وربما لا، المؤكد أنه لا يذكر أنه رآها منذ اختفائها من الحارة.

هذا لو كانت ما يقصدها هي صباح وليس شخصا آخر.

عبد الباري يسبح في عالم آخر ويقول من وسط تهويماته أنه أحب صباح، ربما أكثر من عبد الحليم حافظ في شارع الحب أليس اسم

الفيلم هكذا، وقال إن ظهر صباح كان مثيرًا أكثر من أي ظهر آخر رآه في حياته، وسب عبد الحليم دون سبب لأنه حرمه من صباح.

ثم ضحك وهو يتساءل أهذه صباح التي يتحدثان بشأنها أم صباح أخرى.

بعد فترة وضع رأسه على مخدة الكنبة وهو يقول لكمال وعبد الباري أنه سينام وعليهما المغادرة. فهو لا يحتاج شيئا سوى النوم الآن، فغدًّا يوم طويل. وغطس في النوم.

في أحلامه كانت تنتظره بثوبها الشفاف ، تأتيه صباح من ذكريات الماضي، وكانت تبتسم بغموض مثير وهي تملس على شعره، بينما يقف هو وعلى شفتيه ابتسامة ذهول.ولا يسألها شيئا..

إن ما يبحث عنه هو المعرفة ومن الواضح أنها لن تجئ له حتى في الأحلام!

***

من المدهش له أن رؤيته لصباح برغم أنها أثارت دهشته لأقصى درجة، لكنه أحس وقتها إن بداية الطريق لمعرفة الأسرار قد يكون هي، قد تكون نقطة لينطلق في عالم ملئ بالمفاجآت التي أصبحت جزءً من حياته.

مفاجأة وراء الأخرى وعليه أن ينتظر حتى تنكشف الحقيقة.

قام من النوم نشيطًا، فعل الأشياء العادية كالاستحمام وتنشيف الوجه، وعمل الشاي وتناول رغيف عيش من على المائدة، وأشياء من هذا القبيل الملل، قبل أن يتجه إلى الدولاب ويستخرج تلك البذلة الجديدة الغالية والتي منحه حسين ثمنها، حتى يظهر بمظهر مشرف في حفلتي اليوم، حفلة القناة، والحفلة المعدة في الفيللا.

وقف أمام المرآة ينظر لنفسه، لقد عاد وجهه للإمتلأ، وظهرت في عينيه نظرة يفتقدها منذ زمن، انتبه إلى جسد كمال الملقى كجوال في الصالة بجانب التلفزيون القديم، وبجواره شبشبه يأخذه تقريبا في حضنه، ألم يطرده أمس ؟!

لا وقت ليتأمل كمال الآن، فتح الباب سمع صوت كمال وهو يقول بصوت فيه نعاس:

- حاول ترجع ..

لم يفهم ما الذي يقصده كمال وهو يهبط درجات السلم، ولكنه رمى كل هذا خلف ظهره، لا يهم الآن معرفة كوامن خواطر وأفكار كمال، فهو مجنون!

لحظات وكان يتصل بحسين ليخبره أنه جاهز للذهاب لحفلة القناة التلفزيونية الجديدة وتجهيز كل ما يطلبه منه، جاءه صوت حسين في التليفون يخبره عن عنوان شقة سيذهب إليها وسيجد أحد الأخوة هناك ليصحبه معه إلى مكان اللقاء، لم يفهم لماذا لا يذهب مباشرة إلى مكان الحفلة، ولكنه امتثل لحسين وأخذ سيارة أجرة إلى تلك الشقة.

لم يصعد للشقة ، على باب العمارة وجده واقفا في انتظاره، شابا رفيعا في الثلاثين من العمر تقريبًا، وجه مسحوب لأسفل وهناك لحية مشذبة بعناية تحتل وجهه، بعد دقيقة سيعرف أنه سليم التباغ أحد أكبر معاوني حسين، مسئول عن كل شيء يخص الميديا والكمبيوتر والمسئول عن قناة الشيخ حسين الدينية على اليوتيوب...عالم الإنترنت العجيب بشبكاته لم يكن يشغله الآن.

الشاب يبدو مثقفا وهادئا ويعرف ما عليه فعله حقًّا، سيارة يسوقها سليم التباغ بحنكة تدل على أنه ربما بدأ حياته سائق

للسيارات، قال سليم أن أمامهما بعض الوقت وقرر أن يفطرا سويا ليكون عيش وملح، لم يعترض، فالأمور تمشي بطريقة عادية برغم استغرابه لها.

دخل به سليم إلى ذلك المطعم الغريب وابتسم عندما لاحظ ذهوله، قال له إنه يعشق الأكل الصيني، وأن يعشق التجربة الصينية، بدأ سليم يطلب أنواع من الطعام عجيبة وسط صمته هو. سليم يتكلم معه بهدوء وثقة وكأن بينهما معرفة سنوات برغم أنه لم تمر ساعة تقريبا عن لقائهما.

لم يستطع أن يستمتع بمذاق الطعام الصيني الذي لا يعرفه تقريبا وحاول جاهدًا استخدام العصا الصيني وفشل وسط ضحكات سليم التباغ وهو يقول:

- بكرة تتعود ..

عن أي غد يتكلم سليم وكيف سيتعود؟ هل يطمع أن يتزوج هو الآخر صينية خصوصا بعد كلامه الكثير عن تجربة زواجه من صينية وكيف هي تجربة جيدة ومثيرة، كان يريد أن يستفسر كيف؟ وهل هي مسلمة؟ وأطفاله منها هل مسلمون؟ وهل تجيد العربية وكيف يتعاملون في البيت، ولكنه كتم الأسئلة بداخله حتى لا تكون سببًا للإحراج ، خصوصا أنها أول مقابلة بينهما برغم تودد سليم الذي يصل إلى درجة مبالغ فيه.

ظل يتابع سليم حتى انتهى من أكله، وطلب كوبا من الماء الساخن، كوب ماء ساخن؟ هل سيغسل يده؟

عرف بعدها أن الماء الساخن قد يصل إلى درجة الترحيب بالضيف في الصين، وأخذ يشرح سليم فوائد الماء الساخن، في النهاية كانا يغادران المطعم وعلى وجه سليم ابتسامة رضا، بينما ركب هو بجواره

السيارة صامتا تقريبا، سليم يتكلم كثيرا بحق وبرغم أسلوبه السلس ولكن صوته به شيء يصيبك بالصداع لو استمريت في الاستماع له لفترة هذا ما شعر به، لذا حاول أن يصمت ليعطي فرصة لسليم على الأقل ليسكت قليلا هو الآخر.

ولكن سليم صمت لمدة دقيقة تقريبا من ركوب السيارة، ثم انطلق في حديث عن أشياء لم يعد يستطيع هو أن يسمعها تقريبا، فهناك صوت زنة في أذنه وآخذة في الازدياد، في لحظة ما شعر بأنه سيقذف بسليم خارج السيارة، لماذا عليه أن يهتم أن سليم كان مجرد صبي يهوى النحت على الخشب والرسومات عندما قابل حسين أول مرة في مؤتمر بشرم الشيخ، كان سليم يبيع وقتها الحظاظات والمنحوتات الخشبية للأجانب ويرسم كما يقال ربما عن فتاة روسيا بغرض أن ينام معها ليلة.

شيء في الشيخ حسين جذبه دون أن يدري لماذا، ومن وقتها وهو في ذيل مولانا حسين لا يتركه في أي مكان. حتى أكرمه الله بزوجته الصينية في مؤتمر إسلامي كبير في بنجلاديش.

- "كفاية لحد كده عن حياتي، وصلنا. بكرة تحكي لي أنت عن حياتك " قالها سليم

***

ساعتان تقريبا وسليم يشتري أشياء من أماكن مختلفة ويضعها في حقيبة السيارة، بينما كان هو يجلس متأهبا لشيء لا يحدث. في النهاية وبعد الساعتين قال سليم وهو ينطلق الآن أن كل شيء جاهز ويستطيعان الآن الذهاب إلى مكان الحفلة الصباحية.

بعد نصف ساعة كان هناك عاملان ينقلان كل ما جلبه سليم إلى داخل قاعة الحفلة. قال سليم وهو يشير له إن عليهم الدخول، أن

الشيخ حسين سيكون سعيدا للغاية بالتجهيزات فهو لم ينس شيئا طلب منه، وهو سعيد أيضا بالعمل معه.

سيهزّ رأسه وهو يرى ابتسامة سليم المتسعة وسيحاول أن يفهم لماذا ينافقه سليم، شيء في سليم غير مريح بالنسبة له، بلع كل حيرته داخله، ودخل وراء سليم، عشر دقائق مرت والقاعة كانت معدة لاستقبال الضيوف، كل شيء تم بصورة مدهشة، فهو نفذ المطلوب منه بالضبط كما أملأه حسين، وبرغم التوتر فأن سليم كان خير معاون له، تقريبا لا يغفل عن أية هفوة تجري، تشعر وكأنه عدة أشخاص متواجدين في المكان وليس شخصًا واحد.

بعد نصف الساعة كان الضيوف يتوافدون، وكاميرات التلفزيون الأرضية والفضائية تتراص، ومذيعات ومذيعين ينقلون كما يقال أكبر حفلة في الشرق الأوسط لمجموعة القنوات التلفزيونية الجديدة، التي تبدأ خطة كما يقال ستغير من نظام القنوات الفضائية، عيناه تجوسان عبر الوجوه والمكان، شخصيات لم يحلم أن يراها في يوم من الأيام تتحرك أمامه، فساتين لم ير مثلها من قبل حتى في واجهات المحلات، أجساد نسائية ممشوقة، رجال ببذل فاخرة، مذيعات متأنقات، شيوخ قنوات فضائية، عالم كامل متكامل لا يعرف عنه أي شيء، وعليه أن يتعامل معه بحرص وألا ينقاد خلفه، وجد يد سليم تطبطب على كتفه وهو يخبره خمس دقائق وسيبدأ الحفل.

مرّ الحفل بسلام، ، ولمعت فلاشات الكاميرات آلاف المرات ودارت الحوارات الرئاسية والجانبية، وافتتح الحفل بخطاب ألقاه نجم كبير ووعود كثيرة عن قنوات مختلفة ورؤية جديدة وتغير نوعي في القنوات التلفزيونية، امتلأ المكان بمذيعين كرة، ومحللين رياضيين، ومقدمي برامج توك شو، وفنانين، وشباب مبدعين مسرحيين، ومخرجين كبار،

وسط كل هذا كان حسين يتحرك بأريحية ويلقي التحايا ويتلقى التحايا، بينما سليم يقف بجواره هو ويراقب كل شيء بعيني نمر يستعد للانقضاض على فريسته.

ساعات تبادلت خلالها الابتسامات الحقيقية والمزيفة، والسلامات الودية والمتحفظة والخجولة أحيانا دون سبب.

في النهاية كان الشيخ حسين يلقى كلمات محفزة عن العمل وقيمته وما سوف تقدمه القناة من توعية دينية وتغير شكل الخطاب الديني والأمثلة وطرق التنفيذ، وارتفع التصفيق.

انتهى الحفل على خير، واطلق سليم زفرة ارتياح وهو يودع الشيخ حسين على باب قاعة الحفل والشيخ يهنئهم بحسن التنظيم للمكان وجودته.

وسط كل هذا كان (ميم) الذي سنضطر لاستخدام حرف لاسمه، حتى لا نسبب حيرة للقارئ كما قلنا من قبل يتابع شخص واحد أو بالأصح عيناه تتابعان صباح التي كانت متألقة في المكان والعيون تغمرها لدرجة اللمس وهي تتحرك بمنتهى الثقة بالمكان وتتلقى التهاني عن أشياء لا يعرفها (ميم)، ولم يحن الوقت ليعرفها.

وكان عليه وقت انصرافها أن يتوقف عن متابعة أي شيء وأن يجهز نفسه للحفلة الليلية، التي لم يكن يظن أنها ستفتح عينه عن أشياء أخرى أكبر من كل تخيل.. وربمّا جعلت لحياته شكلا لم يتصوره قط.

***

(8)

بدأت يومك بكمال نائم في صالة شقتك يحضن شبشبه وبجواره جوزة وأحجار معسل، وها أنت الآن داخل تلك الفيلا الفارهة، التي لم تحلم أن تدخلها مثلها في يوم من الأيام.

تقف بجوار فتاة باهرة الحسن تبتسم لك ابتسامة مرسومة بدقة متناهية، مساعدة لك في ذلك الحفل، أمل مجاهد هكذا عرفتك على اسمها من قبل.

عليك أن تراقب المكان بدقة، توقفت عيناك على شخص يرتدي زي خليجي، وحاولت أن تسأل هل هو من كنت تعرفه منذ زمن عبر الأخبار المتناقلة عن كرمه وحبه للمصريين، تهزّ أمل رأسها وتخبرك أنه هو، وهو أحد المؤسسين للقناة التلفزيونية الجديدة، تقريبًا يملك نصفها أو أقل قليلا فالنصف الآخر تمتلكه زوجته ورئيسة مجلس الإدارة، عليك أن تتوقف عن الانبهار عندما تجده يقبل صباح، التي بعد دقائق ستخبرك أمل أيضا أنها زوجة الثري الخليجي وأنها رئيسة مجلس إدارة القنوات الفضائية الجديدة، ذهولك لن يقف عند تلك النقطة، وسيتطور مع مرور أوقات الحفل، عندما ترى تلك الراقصة المشهورة تقف بجانب ذلك الداعية الشاب ويتبادلان الضحكات ، بينما يشعل لها هو سيجارتها، ستراقب أفراد الأمن الذين يتنقلون في

المكان بحرص شديد، وسترى مذيع الكرة المشهور بالسباب مع مدير ذلك النادي الكبير الذي دارت بينهما صراعات وشتائم عبر الفضائيات لشهور وستجدهما يتناولان كؤوس الشمبانيا سويا، ستصيبك الدهشة وستبتلعها وأن ترى كمية المأكولات الرهيبة، وزجاجات الخمر المتنوعة، وربما ستضحك وأنت ترى تلك الراقصة وهي تشد الداعية الشاب من عضوه وهي تضحك، وهو ينظر حوله في خجل صبياني، المثير للضحك أكثر أن ترى الراقصة وهي في اتجاهها للحمام تضرب الداعية على مؤخرته، فتنطلق ضحكة عالية كان يحبسها بين شفتيه، ستنظر لأمل بجوارك ستجد تلك الابتسامة الدقيقة، مع هزّ رأس أن ما يجري مجرد شيء روتيني معتاد، سترى الشيخ حسين وهو يتحرك في المكان ويلقي الدعابات هنا وهناك، ولكن تشهد أن يده لم تمتد إلى كأس خمر، أو خد فتاة شابة، برغم أنك تقريبا لم تعد تعرف من يقبل من، فالقبلات تتناثر في المكان من الشفاه للشفاه دون مواربة، عالم غير حقيقي بالنسبة لك، يظهر أمامك ويكشف نفسه، عالم غريب جعلك تنسى شيماء وإحساسك الذي كان يلتهب لغيابها، الآن عليك أن تقف لترى ذلك الشاب سليم التباغ وهو يمشي بجوار الشيخ حسين ويلقي نكاتا قذرة أحيانا لا تصل إلى مسامعك، ولكن الضحكات العالية بعدها تجعلك تصدق وتحكم أنها قذرة بالتأكيد.

سليم التباغ، قالتها أمل بهدوء غريب وربما برنة غيرة، تهزّ رأسك أنك تعرفه، وتخبرها أنكما تقابلتهما صباحًا، ولتضيع الوقت تحكي لأمل عن المطعم الصيني وزوجته الصينية وما شابه، ترى نظرة غير مفهومة وأنت تحكي في عين أمل، لأول مرة ترى أهدابها ترتعش ورعشة في شفتها السفلى، تحاول أن تسألها هل هناك شيء، تشير لك للشاشة وتقول إن الداعية الشاب ربما يدخل خلف الراقصة الحمام. هناك منظر غريب عليك أن تراه، منظر قبلات حارة دافئة بين راقصة وبين

داعية شاب هاجمها لفجورها من قبل لفترة ليست بالقصيرة في القنوات ، من الواضح أن الفيلا هي أرض السلام التي تصالح التضاد.

بعد دقيقة سحبت الراقصة الداعية من عضوه تقريبا إلى داخل الحمام، لا كاميرا تنقل ما يدور في الداخل.

للحظة قد تسب وأنت ترى أمل تهزّ رأسه بأن هذا شيء عادي لا داعي للعرق المتفصد عن جبينك والعصبية الزائدة في كلامك.. ولا داعي لعمل شوشرة في الحفل .

ستصمت وأنت تتابع تحركات صباح وتضبط نفسك متلبسًا بمراقبتها، فتراها بجوار الجميع في فترات متباعدة، هناك مئات القبلات طبعت على يدها، لو وقفت الآن في وسط الفيلا وقلت لهم إنك كنت تضاجعها زمنا بخمسين جنيها ربما ضربوك بالنار.

اصمت وتحمل أن ترى، ولا ترى.

حاول أن تهدأ وأنت ترى الداعية يخرج من الحمام يعدل ملابسه، بينما بعد دقائق تخرج الراقصة، وعليك ألا تصيبك الحيرة عندما ترى ملابسها الداخلية السفلى في القمامة بعد نهاية الحفلة.

عليك أن تهدأ، هذا وقت لا ينبغي لك فيه التفكير في أي شيء. أنت هنا للفرجة. وظيفتك الرئاسية الفرجة، والشرائط المصورة للحفل، كل دقيقة وكل همسة، لا شيء يخرج من الحفل، كله يسلم للشيخ حسين في النهاية. ما علاقة حسين بأمن المكان؟ لا دخل لك بهذا الآن .

لا تنتظر أن يقف أحد ليصفق لك إذ قلت لهم ما كانت تفعله صباح في الماضي. اللعنة!

ألم تفكر لثانية أنها قد لا تكون هي، وربما اختلط عليك الأمر، وأنها امرأة أخرى تشبهها.

لا تفكر كثيرًا وتابع ما يجري، فهذا الحفل مصيدة للفئران. فئران سمينة، حجمها يبتلع كل شيء.

ها هو رجل الأعمال المشهور بقضيته السابقة التي تناولتها الصحف لشهور يتحرك في الحفل في ثقة رهيبة، طبيعي الأمر بعد أن فشل القضاء أن يأخذ منه "حق ولا باطل" كما يقال.

ستراه يداعب حسناء بملابس مثيرة، وستراه يقبل شاب في فمه تقريبا بطريقة تثير حيرتك لثانية ولكن خبرتك السابقة تجعلك تبتسم، فأنت تعلم معنى قبلة كهذه القبلة، أمعقول هذا؟

لا وقت هنا لتقول ما هو المعقول وما هو غير المعقول، لو حسبتها بنظريتك البسيطة سترى الجحيم على الأرض، وقد تراها جنة المنبوذين.

ولكن هذه المرة تعرف أن هؤلاء المنبوذين هم من يتحكمون في كل شيء يدور حولك وسيدور في المستقبل، القريب على الأقل.

ستنتبه وأمل تشير لك على ذلك القيادي الحزبي المعارض للحكومة وبجواره رجل من رجال الحكومة المخلصين وهما يتبادلان الفتيات تقريبًا مع بعضهما وسط عدة كؤوس خمر بلا حصر.

ستقف على أطراف أصابعك وأنت ترى ذلك الشاب وهو يتمايل كأنثى لعوب ليصل إلى رقبة رجل إعلام محترم كما كنت تظن ويقبله في ميوعة بالغة، سترى الفتيات الأجنبيات اللاتي ظهرن فجأة من البهو لينطلقن في رقصة شهوانية عجيبة وسط تصفيق الجميع، سترى ذلك الشاب اللامع الذي تشعر أن كل شيء فيه يلمع وهو يقترب من نساء تجاوزن الخمسين وتجعدت بشرتهن وظهر مكياجهن صارخا ومبتذلا، وسترى رغم عنك الاتفاق الساري بينهن وبين الفتى حتى تفوز أحداهن به، ثم ترتفع ضحكاتهن بصوت به سرسعة عجيبة، ستعرف فيما بعد

أنه تم مزاد على الفتى وفازت به أحداهن أو من كانت أشد تمسكا به، طمعا في ليلة حمراء والأصح أنها ليلة غبراء.

أي مجتمع هذا الذي راح يتفتح أمام عينيه لدرجة ظنه أن أبواب الجحيم قد فتحت على مصاريعها ليرمي نفسه في أحضان جهنم.

أي عالم هذا الذي عليه أن يراقبه وأن يعلن عن حدوث أي خطأ فيه لحسين. خطأ واحد!

حسين نفسه هو الخطأ الأكبر الآن.

ستحدث نفسك كل ثانية، ورغبة في الفرار تتلبسك ولكنك تؤجل كل هذا حتى تفهم.

الفهم قرار. وأنت قد اتخذت قرارك أن تفهم وأن تكون جزء من هذا العالم، انتبه لأمل مجاهد التي تراقبك الآن في كثب وربما تسجل كل خلجة من خلجاتك، فهي الأخرى قد يكون قد طلب منها أن تراقبك، بالطبع هي توفر عليك الكثير وهي تحاول أن تبعد نظرك عن أشياء تبدو لك خيالية ومن وجهة نظرها هي أشياء طبيعية جدا. ربما عليك أن ترفض كل ما رأيته وأن تقول إنه وهم، وتغمض عينيك وتفتحهما، وتبدل هذا الواقع بواقع آخر توافق عليه صباح وحسين وأمل مجاهد حتى سليم التباغ، تشعر أن من حقه أن يوافق على العالم الخيالي الذي تبدأ في رسمه في عقلك، وربما تجعله يجثو على ركبتيه طالبا منك أن تضمه للخيال بعيدا عن هذا العالم الرهيب .

كل هذا غير حقيقي ردد هذا لنفسك كثيرا.

لتتوقف قليلا عن النظر في شاشات المراقبة ولتتطلع إلى عيني أمل مجاهد، ولتضغط على يدها برفق وتبتسم ابتسامة غير مفهومة وأنت

تسحبها من يدها لتغادر قاعة الشاشات وقد قررت أن يكون لك جزء من هذا العالم والأفضل أن يكون كله ملكك وطوع يديك.

***

لا أحد غيري يكتب أوراقك فحاول أن تتملقني. أنا أعرف القصة أكثر منك بكثير. بل الأصح أنني أختلق هذه القصة.

لم يعرف لماذا خطر بباله أن كل ما يحدث له عبارة عن قصة وهناك من يكتبها ويحدد مصيره خلالها، فهو لا يدري لماذا سجن، ولماذا خرج ومن مصلحة من وجوده الآن بالخارج، وهل الشيخ حسين هو الملاذ الآمن الذي من الأفضل أن يرمي نفسه في حضنه.

لقد انتهت السهرة تقريبا وبدأ الجميع يغادرون، وصلت له رسالة على الهاتف من حسين ألا يغادر الفيلا قبل أن ينصرف آخر شخص.

وبعدها بقليل وجد المساعدة تقترب منه وهي تستأذنه في جمع "الهاردات" التي سجلت السهرة. هزّ رأسه بلا اهتمام. وخرج خارج غرفة المراقبة ليتأمل السماء.

الساعة كانت اقتربت من الثالثة صباحًا، والنجوم يبدو ضوؤها شاحبا خلف غيوم رمادية تملأ السماء، وهلال يداعب السماء كطفل ينتظر أمه لتغطي رأسه ليذهب في النوم ويختفي.

راح يتحرك في الحديقة يتأمل بقايا يوم طويل، كان يشعر أنه أطول يوم في حياته، ربما أطول من كل أيام السجن، فهنا في تلك اللحظة كان ينتظر أن يحدث شيء، شيء راوده في خيالاته عدة مرات، وعندما وجد أن هذا الشيء لم يحدث حقًا، شعر بالخوف. الخوف أن ينتهي به الأمر مرة أخرى خارج هذا الاطار الجديد.

هل بدأ يشعر بالأمان، شعور الخوف ظل ملازما له منذ خروجه من السجن، فهو كما لم يعرف لماذا دخل أو لماذا خرج يتوقع أن يقبض عليه مرة أخرى دون أي تساؤل.

كانت هناك زجاجة بيرة وكأس ممتلئ أمامه في تلك المائدة التي جلس عليها وسط الحديقة، رفع الكأس إلى فمه وشربه دفعة واحدة، قبل أن يمد يده لزجاجة البيرة ويفتحها ويشرب من فم الزجاجة مباشرة. هل دار الزمن أم توقف، هل خلت الحديقة فجأة من كل الموجودين غيره، أحقا سمع تلك الضحكة تنطلق من بين شفتيها وهي تسحب كرسيًا وتجلس أمامه. اراد أن يقف فأشارت له بالجلوس.

اتسعت عيناه وهو يتأمل ملامحها وشفتيها وهي تقول في بساطة:

- ازيك؟

قالها في تردد :

- أنا ..أنا كويس ..

إجابها وهو يتأمل عينيها المتسمرتان على وجهه وكأنها تقيس ردود فعله.

كانت صباح، ولكنها أبدًا لم تكن صباح التي عرفها زمان، بل صباح أخرى عليه أن يصمت كثيرًا ويسمعها لو أراد أن يعرفها حقًّا.

كانت تحمل في يدها كأسا من النبيذ راحت تشربه ببطء. قالت بصوت ضعيف:

- غبت كتير قوي ..

قال بهدوء هامسا :

- حضرتك عرفاني؟

انطلقت ضحكتها عالية جدًّا، وهي تدور بأصبعها على حافة الكأس ثم قالت:

- مفيش وقت تعمل مش عارفني؟ ومفيش وقت اعمل مش عرفاك..ومتفتكرش أنك أنت لوحدك اللي كنت بتراقبني من ساعة ما شوفتني ، أنا كمان كنت براقبك .

كانت صباح تتكلم لغة جديدة، لغة علمتها لها الحياة قبل أي شخص آخر.

لم يكن يعرف ما هو المطلوب منه في تلك اللحظة، أيغادر الآن، هل يستأذن؟ أم عليه أن يتصل بالشيخ حسين ويستأذنه في الانصراف، هل يفر من أمامها الآن أم يجلس منتظرًا أن تنطق الحكم عليه.

لقد تعود الانتظار، فلا يهم.

قالت وهي تمد يدها لزجاجة البيرة وتنظر للكمية التي شربها، وقالت:

- اتعشيت؟

كيف لم ينتبه إلا الآن أنه لم يأكل أي شيء منذ وطئت قدماه الفيلا اليوم.

بلع ريقه وهو يحاول أن يجيب، ولكنها مدت يدها بهدوء وسحبته من يده ، وهي تبتسم ابتسامة جعلته يستسلم نهائيًا وهو يسير خلفها، الفيلا فجأة وكأنها أصبحت ملكًا للأشباح، لا أحد غيره وغيرها، الباب الزجاجي، والبهو المتسع، والسلالم الدائري التي تصعد للدور الثاني، وذاك الباب الذي دفعته بيدها، لتظهر خلفه غرفة نومها، غرفة متسعة يتوسطها سرير ضخم، بينما في جانب الغرفة وبجوار السرير

كانت هناك مائدة صغيرة عليها عدة أطباق مغطاة وبجوارها عدة زجاجات من النبيذ.

كل شيء يسير بسرعة أكبر مما يتخيل هل أكل في خمس دقائق أم أقل، أهو من خلع ملابسه أولا أم هي، كم قبلة على شفتيها، السرير الذي يهتز بعنف الآن وهو وهي فوقه عاريين تمامًا، وقد ولجها بعضوه، وشفتيه تداعب حلمة أذنها فتنطلق ضحكة عالية وهي تمسكه من وسطه وتقول:

- مانسيتش؟!

يسحبها من وسطها ناحيته، تصرخ مستعذبة الألم، يلتقط حلمة نهدها بين شفتيه ويعضها بأسنانه، ويده الأخرى تداعب النهد الآخر الحر، كان نهداها متماسكين كأنهما لم تلمسهما يد قط. كان يحافظ على وتيرة هادئة وهو يدخلها. تنظر إلى عينيه بشغف، تطلب منه أن يدخلها أكثر، يشعر كأنها تريد أن تبتلعه بالكامل، ويشعر هو بسنوات الحرمان السبع، وكأنها آخر مضاجعة له في حياته، لا يعرف هل الوقت يمرّ حقًّا، أم أن الزمن توقف على صراخات المتعة التي تنطلق من بين شفتيها وهي تغرز أطافرها في ظهره، يعض رقبتها ويعاود لحس أذنها، وبرغم أنه يعرف صباح، ولكنها مختلفة، كل شيء بها مختلف، يشعر وكأنه يتعرف على جسدها لأول مرة، أخيرا كان يرتمي بجوارها على السرير غارقا في عرقه.

يتطلع للسقف في ذهول غير مصدق ما يحدث، انطلقت ضحكتها عالية وهي تسحب زجاجة مياه من جانبها وتشربها ثم تزفر في عمق وترمي رأسها للوراء قائلة:

- يخرب بيتك؟

وكأن هذا الكلمة بداية معركة جديدة، فقد التفت ناحيتها بوجهه وأطلق شفتيه لتمتص شفتيها وتبدأ اللعبة.

(9)

ثلاثة أسابيع كاملة قضاها داخل الفيللا، لم يكن يريد المغادرة، ولم تطلب صباح منه أن يغادر إلا اليوم، قالت إن زوجها سيأتي لمدة أسبوعين فقد كان خارج البلاد منذ يوم الحفل ، فعليه هو أن يرحل وستطلبه مرة أخرى، قالت له ألاّ يأتي إلا إذ طلبته هي.

تحرك خارج أسوار الفيللا وهو يتساءل لماذا سحبته صباح لهذا العالم لثلاثة أسابيع، شعر أنه دخل خلالهم عالم فريد من نوعه، أخبرته الكثير عن عالمها اليوم، وعن زوجها وعن مقدار الثروة التي تملكها ولكن أي عبث في ثروتها أو سحب مبالغ ضخمة سيعرفه زوجها.

تعجب أن الشيخ حسين لم يتصل به طوال الثلاث أسابيع برغم أن هناك حلقتين من البرنامج الجديد قد تم إذاعتهما..

عليه الآن أن يعود من حيث أتى، إلى الممرّ، إلى كمال وعبد الباري والشيخ حسين وذكريات الماضي.

المضحك في الأمر أن صباح طلبت منه خمسمائة جنيه وقالت ضاحكة آنذاك إنها لم تتعود أن تعطي شيئا دون مقابل. وبرغم مفاجأته بطلبها لكنه دفعهم وهو يضحك. وعندما مد يده في جيب البذلة التي يرتديها الآن وجد ظرفا مغلقًا، عندما فتحه وجد بداخله

خمسة الآف جنيها وكلمات قصيرة مكتوبة. " لا آخذ شيئا أيضًا دون مقابل "

مع محاولة حصوله على سيارة لنقله سمع صوته وبه رنة مرحبة:

- صباح... صباح الخير.

كان سليم التباغ قد وقف بسيارته أمامه، لم يعطه سليم فرصة للتفكير وهو يفتح الباب المجاور لمقعد السائق وهو يقول:

- لف اركب.

نظر لسليم ولتلك الابتسامة العالقة على شفتيه وهو ينطلق بالسيارة ثم قال متسائلا :

- على فين؟

ظلت ابتسامة سليم ثابتة وهو يقول بهدوء غريب :

- الشيخ حسين عايزك؟

لم يكن أمامه سوى أن يومئ برأسه، ويتأمل الطريق أمامه وهو يفكر هل سيتخلى حسين عنه؟ وكيف عرف أنه سيكون في هذا المكان تحديدا في هذا الوقت .

لن يطرح أسئلة كثيرة على عقله، فما زال منتشيًا بتلك الأسابيع الثلاثة التي قضاها مع صباح.

لم يشغله التفكير في الشيخ حسين والسيارة تتحرك بسرعة في طريقها.

لماذا ارتجف جسده بشدة وهو يتأمل ميكروباص يمر في الاتجاه المعاكس، أحقا لمح شيماء بداخله، كيف نسيها ؟ ربما لمحها لثوان، ولكنها هي. شيء يخبره أنها هي. أراد أن يقول لسليم أن يتوقف. أخذ

يلوي عنقه بعنف متطلعًا للطريق المعاكس. لكن الميكروباص كان قد ابتعد كثيرا. رؤيته لشيماء إشارة لا يعرف أتت في ميعادها أم بعد ميعادها. لماذا الآن؟

ربما تخيل الأمر. قد تكون أخرى تشبهها. حتى لو كانت هي فما الذي يريده منها.

الأمر يشبه صدف الأفلام. حقًّا لا يفهم نفسه. ولا رغبة لديه ليفهم نفسه. هكذا كان تفكيره يأخذه لمناطق ومناطق ويعود بنظرة خابية.

الوقت يمضي ببطء. السيارة تقف في النهاية أمام عمارة حديثة. يشير له سليم أن ينزل. يهبط فيقول سليم وهما يتجهان إلى المصعد أن الشيخ حسين ينتظرهما في الشقة في الدور الرابع. كانت أول مرة يرى تلك العمارة وهذه الشقة وتسائل بينه وبين نفسه كم شقة يمتلكها الشيخ حسين.

يقف المصعد.يتحرك خلف سليم الذي يشير بيده إلى باب شقة ثم يرن الجرس. هنيهة ويفتح الباب، شاب أصغر من سليم في الثامنة عشر بالكثير ذو لحية خفيفة يفتح الباب ويبتسم وهو يفسح لهما مكانا للدخول، يطبطب سليم على رأسه وهو يقول:

- إزيك يا حامد..
- يهمس الفتى : الحمد لله.

كانت هناك صالة واسعة، وكان الشيخ حسين يجلس أمام التلفزيون وهو يتطلع إلى برنامج ديني لداعية منافس كما كان يسميه. ابتسم حسين لمرآهما، وقام وأخذه في حضنه وهو يشير لسليم بالإنصراف.

طلب منه حسين أن يجلس ليسمعا سويا ما يقوله هذا الشيخ من فتاوي في التلفزيون.

اغلق حسين التلفزيون بعد عدة دقائق فجأة وهو يقول:

- كل من هب ودب بقى بيفتي دلوقتي.

لم يجد شيئا يقوله فاكتفى بهزّ رأسه وهو ينظر لعيني حسين الغامضتين المتسعتين في تألق.

ابتسم حسين وهو يربت على قدمه ويقول في همس خبيث:

– اتبسطت؟

نظرة في عين حسين كانت كفيلة إلا يكذب فقال " ميم ":

– يعني مش قوي.

انطلقت ضحكة مجلجلة من بين شفتي حسين وهو يقول:

– مش زي زمان طبعا.

في هذه اللحظة كان الشاب حامد يضع كوبين من الشاي أمامهما، قال الشيخ حسين:

– اشرب. وحاول تسمعني كويس. مفيش كلمة هعيدها تاني. وحاول تفهم أن الفرصة بتيجي مرة واحدة بس. مد ايدك. اشرب

رفع كوب الشاي إلى شفتيه وراح يرتشف قطرات بسيطة وهو يتطلع إلى شفتي الشيخ حسين الذي شرع في الكلام، وعيناه مثبتتان في عينيه وكأنه يقيس ردود أفعاله.

ما كان يقولها حسين كان مخيفًا لأقصى حد، ارتجف جسده لدرجة أن كوب الشاي انزلق من بين يديه وانسكب على الأرض.

وحسين يقول بنفس الهدوء:

- سيبه ميهمكش حامد هينضف وراك.

وكأن لعبة أخرى سيدخلها وربما دون إرادته كالعادة .

***

لم يكن من السهل أن لا يفكر فيما سمعه من حسين، ظل عقله مشتعلا وهو يهبط بالمصعد بعد أن غادر الشقة، قال لحسين إنه لا يرغب أن يوصله أحد، فسوف يعود للممرّ وحده.

ابتسم حسين له وودعه بنفسه إلى باب الشقة وهو يحذره أن ينطق بحرف مما سمعه منه بينه وبين أحد، حتى بينه وبين نفسه. ليصمت ويفكر.

على بعد عمارتين سمع صوتا يناديه، كان سليم التباغ الذي من الجلي أنه ينتظره منذ هبوطه.

أشار له سليم، وجد نفسه يتحرك اتجاه سليم الذي فتح له باب السيارة، ركب دون كلام.

كانت قد مرت ثلاث ساعات وأكثر وهو فوق عند حسين. وبدا وكأن سليم ينتظر منه أن يقول شيئا. ولكنه ظل لائذًا ومتحصنا بالصمت.

قال سليم عندما اقتربا من الممر كلمة واحدة وعيناه مسلطتان على عين السيد "ميم".

"متطوعوش "

وفتح سليم باب السيارة ليهبط "ميم"، لم يستطع أن يجيب بشيء وهو ينزل.

شعر بالعطش فجأة. لكنه كان عطشا مختلفًا تذكر " مبستراتي" جاء في باله فجأة. ذلك اليوناني الذي لم يغادر مصر وظل فاتحا محل الخمور الخاص به.

وجد نفسه يشير لسيارة أجرة تمرّ ويطلب منه أن يذهب إلى "مبستراتي".

يتذكر كيف كان يذهب إليه زمان وكيف كان الرجل يستقبله بضحكة وهو يناوله زجاجات البيرة أو زجاجات البراندي، وعندما ماتت زوجة مبستراتي شربا سويا زجاجة خمر كاملة على روحها وهما يدعوان لها بالرحمة. لِمَ تاه عن ذهنه طوال هذه الفترة؟

سيتذكره مبستراني بالتأكيد ذلك العجوز الذي يقارب الآن السبعين تقريبا من العمر.

الشارع نفسه. سائق التاكس يتوقف. يتأمل "ميم " مكان المحل وتتسع عيناه ذهولا ، فلم يكن أمامه في مكان المحل الضخم سوى معرض ملابس وبجواره معرض للعطور، وأرض مبستراتي المحيطة بالمحل فتحت كلها محلات مختلفة.

السائق أخبره أنه ظن معرفته بالأمر فلقد مات مبستراتي منذ سنتين تقريبا.

إذن مات "وميم" في السجن. لكن من اشترى محله وكيف. "مبستراتي" ليس له ابناء، إلاّ ابن يبلغ الأربعين تقريبًا يعيش في اليونان ولا يأتي مصر. هل جاء الأبن وباع المحل. سائق السيارة الأجرة يبدو ابن بلد ويعرف ما حدث. طلب "ميم" منه أن يصله إلى محل آخر لبيع الخمور وأن يحكي ما يعرفه .

ابتسم السائق الذي سنعرف أن اسمه صالح وأنه سوف يقول "لميم" كيف أن ضابط شرطة كبير بالتعاون مع مقاول وصاحب الكشك أمام المحل قد استولوا على ميراث اليوناتي "مبستراتي"

وفتحوا هذه المحلات بعقود مزورة. إشاعة أم حقيقة لا يعرف. ولكن هذا ما تم بين يوم وليلة ، خصوصا أن بعد موت مبستراني بأسبوعين خرجت أوراق بيع من تحت الأرض واثبات ملكية بتوقيع الرجل. وليس هناك من يثبت العكس أو يطالب بالأرض والمحل.

انتهت حكاية مبستراتي بالنسبة له هو يطلع سلالم شقته وفي يده خمس زجاجات بيرة، وزجاجة نبيذ جلبهم من محل آخر..

مد يده في جيبه، مفاتيح الباب أين؟ وجدها بعد دقيقة بحث، فتح الباب، قابله الظلام، كانت الصالة عكس ما توقع نظيفة تماما، وهناك من رتب كل شيء في مكانه. هل هم؟ كمال وعبد الباري

ارتمى على الكنبة وشغل التلفزيون وهو يفتح أول زجاجة بيرة بأسنانه، كانت الصور تتلاحق على الشاشة أمامه وهو لا يرى شيئا تقريبا.

عقله ذهب لحسين وما قاله، رفع زجاجة البيرة إلى فمه وراح يشرب.

مد يده في جيبه أخرج الظرف الذي به الفلوس التى أخذها من صباح. تطلع لها كثيرة قبل أن يرفع مرتبة الكنبة ويضع الظرف تحتها.

مرّ الوقت بطيئا وهو يواصل الشرب. كان ثمة قطعة حشيش معه، أخرجها وفركها ثم مد يده يبحث على ورق بفرة. وجد دفتر رزلة كما يطلقون عليه، سخن الحشيش وفركه وسط التبغ وراح يلف سيجارة أولى. وبعد فترة كان يلف السيجارة الخامسة أو السادسة أو العاشرة هو لا يتذكر، كم زجاجة بيرة شربها، الضباب ينسحب على عقله، والخيالات والذكريات تطارده بعنف، سلوى وأمها، سماح، أميرة وزواجها، حتى دكتور عصمت أستاذ الأحياء تذكره، عبد الباري وكمال، أمل مجاهد، الحفلة، سليم التباغ، حسين، شوكت وجلوسه

على قاعدة الحمام بشحمه وعضوه مرتخي، ذرق الطيور الذي كانوا يتصورون وهم صغار أن فعلها حمامة عليه فهو مرزق وسيكتسي بلبس جديد.مبستراتي وذلك الضابط الكبير الذي استولى على المحل. حامد الذي سينظف خلفه. زينب وأمها. كلية الآداب وكلية التجارة. ياسر وصباح وحسين بداية اللعبة وليس نهايتها. السجن بكل تفاصيله. شهر عسل في حضن صباح بكل تفاصيلها. زوجها الفاحش الثراء. القنوات الفضائية. الدعاية. والدعوة . حسين، حسين وما يطلبه منه.

تختفي الصور من أمامه والضباب يزداد وتثقل رأسه فتتساقط على صدره وينام في مكانه .

***

منذ هذه اللحظة أصبح له اسم السيد "ميم". إضافة من المؤلف وكسر للإيهام ليس له ضرورة سوى الحذلقة واثبات اسم للبطل.

(10)

سيعود ليتصور "ميم" للحظات أنه في قصة، وكل ما يحدث له وما سيحدث ثمة شخص ما يكتبه، سيقول لنفسه مستحيل أن يحدث لي وحدي كل هذا. إذ كان لا بدّ من توزيع المصائب فلتوزع على الجميع. هل هو يهلوس؟ يطرد كل هذا من خياله وهو يتطلع لزجاجات البيرة الفارغة وزجاجة النبيذ التي أتى عليها بالكامل أمس.

الشمس تدخل إلى الصالة وشعاع النور يضرب في عينيه، يتململ ويدير ظهره للضوء.

دقات بطيئة وضعيفة على باب الشقة. ثم زادت وارتفعت وتيرتها تدريجيا. شعر أنه مجبر على أن يقف ليفتح الباب. قام، تحرك بخطوات بليدة، مد يده يفتح الباب، وجد كمال أمامه قال في تراخ:

- ادخل. اقفل وراك.

أخذ طريقه إلى الحمام، بينما نظر كمال للزجاجات الفارغة فراح يجمعها في كيس أسود جلبه من المطبخ، سمع صوت السيفون، وبعد هنيهة كان يجلس "ميم" أمام كمال الذي قال:

- شفتك إمبارح وأنت راجع بس مردتش أقلقك.

أومأ "ميم" برأسه وهو يمد يده إلى الكيس الأسود في يد كمال ويهز زجاجات البيرة الفارغة داخل الكيس حتى يجد زجاجة بها ربعها، فيأخذها ويفتحها ويبدأ الشرب. تأمله كمال بلا تعليق ثم قال:

- شهر ولا اكتر غايب. قلقت عليك. وهي كمان قلقت.. حسيت بكده؟ سألت عليك كذه مرة.

لم يكن "ميم" يحتاج لفراسة ليفهم أن كمال يتكلم عن شيماء.

وضع الزجاجة جانبًا وبدا أنه استعاد كثيرًا من وعيه وهو يقول في اهتمام ربّما كان حقيقيًا:

- ظهرت أمتى؟

هرش كمال في رأسه ثم قال :

- من أسبوعين تقريبا . جت خمس مرات. كل مرة تسأل عليك.

سأله في لهفة حقيقية :

- كنت بتقولها إيه؟

- هقولها إيه. معرفش مكانك. بس هترجع. هي فكرة في الموضوع سر.

- سر إيه؟

قال كمال بلا مبالاة :

- مش عارف.. أنت أدرى .. أنا هنزل أفتح المكتبة. لو جت أقولها إنك رجعت؟

لحظة بدا "ميم" مفكرًا ثم قال في هدوء:

- لو سألت قولها.

- ولو مسالتش؟

- يبقى مش عايزة تعرف... ويبقى أحسن.

داعب كمال شفتيه بلسانه ولاذ بالصمت لدقائق وكأنه يحاول أن يفهم ، ثم قام وفي يده الكيس الأسود بزجاجات البيرة، ثم عاد ووضع الكيس بالزجاجات على مائدة صغيرة أمام" ميم " وهو يقول:

- يمكن تحتاجهم في حاجة.

غادر كمال المكان وترك الصمت يتسلل ويحتل الشقة، بينما جلس "ميم" على الكنبة، وهو يتذكر كل ما قاله له حسين، ويحاول أن يهضمه ويستوعبه، الأمر مخيف حقًّا.

صباح يجب أن تموت، لقد توغلت في كل شيء، وأصبحت تمثل نتوءًا في حياة زوجها، تصرفاتها وخياناتها الأخيرة لزوجها تؤلمه، خصوصا لأنها أصبحت منذ فترة تقتطع جزءً من عمولات باسمها وتضعه في حساب آخر بعيد عن حسابات الشركة وكانت تظن أنها في أمان .

كل هذا كان ليغفره لها زوجها، ولكن الفيديو الأخير الذي يجمعها بـ "ميم" تفاصيله بالنسبة للزوج كانت بشعة، فتفاصيل الشهر كامل نقلت عن طريق تصوير خاص للزوج.

الزوج لا يريد عقابه بالعكس، سيعطيه اثنين مليون جنيها ليقتلها.

لقد قرر الزوج أن الشخص الذي استمتعت معه خلال الشهر هو أنسب شخص لقتلها، لقد شاهد "ميم" بعينيه جزء مصورا له وهو وصباح في لقاء حميمي، عاريين، الغريب حقًا وصول هذا الفيديو إلى يد حسين، بل الأغرب أن حسين كان يفرجه عليه وكأنه يشاهد حلقة من برنامج عالم الحيوان. بالفعل أنه عالم الحيوان. وعليه أن يكون

حيوانا وإلا. وهذا ما زاد من خوفه، سيكون عليه أن يقتلها أو يُقتل مكانها، عليه أن يختار.

قال حسين له إن زوجها فكر أكثر من مرة في التخلص منها. ولكنه تراجع عدة مرات لأسباب تخصه هو، لكن هذه المرة وبمشاهدتها متلبسة جاء قراره بالتنفيذ، وخصوصا ومعه هو كان الرهان منذ البداية. رهان من حسين أنها ستضعف أمام "ميم" ربّما حنين جارف للماضي الذي كان يعرفه حسين عنها ، بل وشارك في صنعه.

لقد أخبره حسين أنها كثيرًا ما تمردت عليه هو شخصيا، لذا هو مع زوجها في ضرورة التخلص منها ،التمرد يدمر كل شيء .

فصباح أخذت أكثر من حقها بكثير، بل أخذت من حقوق ناس أخرى أصحاب نفوذ كان يجب أن تحترس وهي تأخذ من كعكتهم.

حاول "ميم" أن يستوعب كل هذا. وتساءل هل حسين منذ البداية كان يريده لهذه المهمة وهي التخلص من صباح... هل كل تقربه إليه منذ رآه لينتهي الأمر هكذا .

كانت رأسه تشتعل.

صباح وشهر العسل تحول فجأة لجحيم.

تذكر سليم التباغ وهو يقول له بتورية ألا يفعل. كيف عرف سليم الأمر. مؤكد يعرف؟

لمن ينتمي سليم هو الآخر؟!

لا شيء أصبح مفهوما له. خرج من سجن سبع سنوات بكل غموضه ليدخل إلى عالم آخر أفظع وأشد غموضًا. هل عليه أن يجاري كل هذا وببساطة؟

جاءه صوت كمال قويًا من أسفل العمارة ينادي باسمه، اتجه للنافذة وفتحها وجد كمال واقفًا ينظر لأعلى وهو يقول:

- جت وسألت. ومستنية جوه المكتبة.

وجد نفسه يهبط السلالم جريًا، وهو يرمي كل ما يقابله في سكته،حتى تلك القطة السوداء التي وقفت تزوم على السلم .

وبعد لحظات كان يقف قبالتها في المكتبة هو يتطلع إلى عينيها وإلى وجهها الذي كساه الخجل كالعادة .

ثمة ابتسامة تشرق على شفتيها لتسلبه تفكيره كله ويعود لنقطة لا يعرف هل عليها أن يبدأ من عندها أم لا؟

***

شيماء، ملامحها شديدة البراءة، كلماتها القليلة، شعرت أن عليها أن تحكي فحكت.

كانا يجلسان في المكتبة وأمامهما كوبان من الشاي أعدهما لهما كمال، الذي أخذ كرسيا وجلس بجوار المكتبة كحارس. شيء دفعه لهذا. خوف ما ربما .

شيماء بنت وسط ثلاث أولاد، اثنان منهما في السجن، والثالث هج في بلاد الله لخلق الله، تعيش مع أبيها. أمها ماتت منذ كانت هي في الخامسة من العمر. أحيانا عندما تضيق نفسها من الحياة تذهب لتعيش مع خالتها لعدة أيام. القصة ليس جديدة وليست مؤثرة من كثرة حدوثها. منذ سنوات كانت بنت تضحك للحياة لا تمل الضحك، وكانت كثيرة الكلام ولعبة إخوتها كما يسمونها. يدلعونها فوق الحاجة وزيادة، أبوها كان في السعودية لسنوات طويلة جلب مبلغًا من المال يكفيهم وزيادة، كان يعمل في المقاولات بدأها كعامل وانتهى كمقاول أنفار، ثم كمقاول مبان. ثم رأى مثلما مصر كلها رأت إعلانات وأخبار

شركات توظيف الأموال. ألم أقل لكم إن القصة ليست جديدة، وكآلاف وقتها وضع كل تحويشة عمره هناك في شركة توظيف الأموال، قسطان فقط قبضهم من الشركة، ثم فجأة قررت الحكومة أن هذه الشركات نصابة، كيف ولماذا؟ ولم قرروا اليوم أن يقبضوا عليهم لا أحد يعرف؟

وبدأ إنهيار كل شيء، أمها ماتت بعدها بسنة، بينما الذهول لم يفارق أباها حتى هذه اللحظة، دخل في دوامة ليس لها بر. أما إخوتها، فاثنان منهم هجما على الرجل الذي أشار على أبيهم بوضع الفلوس في تلك الشركة، وقتلاه وسط مشاجرة ضخمة، وجهت إليهما تهمة القتل العمد، ولم يخرجا للآن. بينما فر الأخير.

فجأة أصبحت تنتقل من يد ليد ومن بيت خالة لبيت عم، أودعو أباها المستشفى لسنوات، الشيء الوحيد الذي استفادت به وسط تنقلها من بيت لبيت هو حصولها على شهادة الدبلوم، وخبرة لا بأس بها بالبشر، ولكنها لم تعد تشعر بالأمان مع أحد، لقد تغيبت عن الشركة لأنها منذ فترة عادت لشقتهم القديمة وجاءت بأبيها ليعيش معها، فهو برغم صمته وذهوله، ولكنه نفس معها في الحياة.

هي لا تعرف لماذا تحكي له كل هذا، شيء فيه يطمئنها من ناحيته وأنه لن يظلمها أبدا، حاولتْ أن تهرب من شعور نما بداخلها تجاهه ولكنها لم تستطع.

قالت ربما لأنه يشبه أباها. وضحكتْ. فهو لم ينطق تقريبًا وتبدو ملامحه ذاهلة منذ جلسا سويا، يحتضن يدها وينظر إلى شفتيها وكأنه يستطعم الكلام الخارج منهما.

سحبت يدها. وتوقفت عن الحكي. هل يحكي هو الآخر؟ صمت. الناس لا ترحم. ومن مروا بحياتها وما مرت به جعل ثقتها بالبشر أمرا شديد الصعوبة. شيء في عينيه قال لها إنه مثلها. ربّما. لهذا أطمئنت.

سألت عليك عدة مرات أخبرته بهذا وهي تتلفت حولها. رغب أن يذهبا سويا إلى كافتيريا ليشربا شيئا. قالت إنه يكفيها الشاي الذي أمامها، والذي لم تلمسه شفتيها بعد. قالت إنها تراه اليوم مختلفا كثيرا عما رأته من قبل، شيء في عينيه متغير.. بل أشياء فهي تكاد ترى عينين أخرتين. ابتسم. ولاذ بالصمت مكتفيا بنظراتها الحالمة تجاهه.

حقيقة عندما لم يظهر في المكتبة فترة خشيت أن تفقده كما تفقد كل شيء في حياتها، سألت عليه صديقه كمال، وبدا للحظات ومرات أن كمال لا يعرف شيًئا وتقريبا لا يعرف لماذا يفتح المكتبة وينتظره هو الآخر. لقد قالها لها في مرة. وسألت هل كمال مريض. ابتسم وقال لها إن كمال مجنون لكن لا خوف منه.

هزّت رأسها وهي تقول ومن عاقل هذه الأيام.

بعد فترة توقفا فيها عن الكلام وظلا يتطلعان لبعضهما وقفت وهي تقول إن عليها أن تذهب الآن وستأتي في وقت آخر.

لم يسألها ماذا تتوقع منه، ولم تسأله شيئا تقريبا.

وكأن يكفيكهما في هذه اللحظة مقابلتهما الآن.

انطلقت من أمامه وهي تلقى نظرة بها حيرة خلفها، بينما ظل جالسًا يتطلع لظهر كمال وكرسيه بعدما غادرت، وصورة صباح تغازل عقله بشدة.

هذه المرة يرى وجه صباح غارقًا في الدماء.

***

- عرفتها لوحدي. زي ما أنت وصفتها بالظبط. ضحكتها حلوة. قصيرة شوية.. ما تشرب شايك. برد.شايها بارد برضه. غريبة شايها سخن. أشربه أنا. إيه رحت فين؟

لم ينبه لكلام كمال الكثير، أومأ برأسه وهو يقول:

- المكتبة أخبارها إيه؟ عبد الباري مبيجيش؟

- لا أزاي. كل يوم هنا بنقعد على القهوة بنستناك. بس أنت اللي مبتجيش.

- هي ظلبت معاك ألغاز وفلسفة؟

- شكلك المرة دي مش عجبني؟ رجعتك المرة دي غريبة؟ ولبسك غريب. وتسريحة شعرك غريبة. أنت كنت فين؟

- المكتبات جابت فلوس الشهر ده؟

- آه جابت هتلقيهم في الدرج جوه. كنت بفتح كل يوم. الباب المفتوح لازم الناس تخشه. هنقفله محدش هيعتبه. خلي بابك مفتوح دايمًا.

ابتسم وقرر أن يقوم. قال لكمال إن عليه أن يذهب لمشوار مهم. سيعود بالتأكيد أسرع من كل مرة. مصمص كمال شفتيه، وقال إنه سيقفل المكتبة في الميعاد المعتاد حتى لو لم يحضر هو. هزّ رأسه وتركه وذهب.

لم يكن يعرف "ميم" المكان الذي عليه أن يقصده الآن. لقد صار كما يقولون في " خانة الليك " عليه أن يستسلم أو يقاوم، ولكن هل هو في حمل مقاومة حسين ومن معه.

إنه في السابق كان يقاوم من أجل الحياة، وكان يقاوم أشخاصًا لا يعرفهم. يقاوم سبب سجنه لسنوات. يقاوم لحظات الضعف والذل. حتى شوكت أحيانا كان يرفض طلباته السخيفة ويقاومها. الآن هو بمفرده مرة أخرى.

شيماء لن تكون عونا له. بالعكس ربما قد تكون ثقلا جديدا فوق كتفيه.

لم يعرف من أين ظهر له سليم التباغ.

اللعنة! سليم هذا كالشبح يظهر له في أي وقت وأي مكان!

فتح سليم باب السيارة وهو يقول بهدوء مريب : اركب.

تردد لوهلة ثم ركب. سليم على ابتسامته الغامضة، وكلماته المحيرة التي قد تفسر بأكثر من معنى، إنه لا يعرف حقًا هل سليم مع حسين أم ضده. الكلام كله يفسر بالطريقتين.

اطلق زفرة حارة وهو يرى الطريق والسيارات والزحام في تلك الساعة. ابتسم سليم وهو يقول:

- الإشارة دي غلسة شوية. ويمكن غلسة كتير. إيه فكرت؟

- في إيه؟

- في اللي كلمتك فيه؟

- ما انت مقولتش حاجة؟

- تفتكر؟

- أظن كده.

- يبقى فكر من تاني، وخلي بالك هما كفتين. متعرفش مين فيهم اللي هتطب الأول.

- أنا عايز انزل.

- ازاي. ده أنا عزمك على الفطار.

- معلش. محتاج انزل. على الأقل عشان أفكر.

- ماشي. الإشارة تفتح وانزل. بس زي ما قولت لك هما كفتين.

فتحت الإشارة، توقفت السيارة بعدها وهبط "ميم" سمع سليم يضحك وهو يقول له " كفتين ميزان ". الحيرة تكاد تبلعه أكثر.

من الذي يرسل سليم خلفه؟!

في أول مرة أثناء خروجه من عند صباح عرف أن حسين هو من أرسله، هل يقوم سليم بدور العميل المزدوج للطرفين كما يقال في عالم المخابرات.

سليم التباغ حيرة جديدة.

عليه أن يفهم أولا لمن ينتمي سليم حتى يعرف هو ما الكفة التى عليه أن يميل معها. قتله لصباح قد يكون حلا للجميع.

حسين قال إن كل شيء سوف يكون محسوبا بدقة. لا يريدون دماء.ولا شرطة في الموضوع ولا أي تحقيق.

دواء جديد سيصبه في كأسها سيصيبها بما يشبه الأزمة القلبية..دواء غالي الثمن ويعد خصيصا لهذا النوع من القتل ، بالطبع لم يستطع أن يسأل وكيف يحصلون عليه .

دقائق بعد شربها الدواء وتغادر صباح الحياة.

مؤكد هي لا تهمه، فقد يكون يشتهيها ولكن النساء ليس هناك من هو أكثر منهن. عليه أن يفكر بالحياة، هكذا كان يقرر له ويكلمه حسين.

العجيب أنه سمع صوت حسين في صلاة الفجر في الجامع القريب يؤم الناس أو خيل إليه أنه سمعه.

حاليًا هو لا يستطيع أن يفرق بين الوهم والحقيقة، حتى شيماء وظهورها المفاجئ وقصتها عن إخوتها وأبيها قد تكون مزيفة، لماذا لا تكون هي الأخرى "مزقوقة" عليه كما يقال.

لا شيء في هذه الأيام ومنذ خرج من السجن يطمئن أو به أمل.

شعر بالجوع بعد ساعتين تقريبًا من المشي، أشار لتاكسي ورمى نفسه بداخله..

الغريب في الأمر أنه قرر أن يجرب الطعام الصيني.

(11)

لا حل، يجب أن يكتب لنفسه على الأقل، يجب أن يفرغ ما يشعر به.

إنه تائه، لقد اتصل به حسين وأخبره أن يحضر إلى الأستديو فهناك حلقة متأخرة ويجب تسجيلها، لم يعرف ما عليه فعله، صمت، وقرر النزول. كان يحتاج أن يصفي ذهنه.

ثلاث أسابيع تقريبًا مرّت منذ أن طلب منه حسين ذلك الطلب الجهنمي. ومن يومها لم يقل له حسين أي كلمة أخرى بخصوص هذا الموضوع.

كلّ ما فعله أنه أتصل به وأخبره أن مسافر لشرم الشيخ لمهمة ما، وعائد بعد أيام.

وهذه آخر مكالمة لحسين وكانت مختلفة عن كل خيالاته. هل عليه أن يستمر صامتا.

ليكتب كل ما حدث له في خطاب ويرسله لشخص يأتمنه، فهو معرض للموت. شيء في تصرفات حسين وفي نظراته له في الأستديو لا يدعو للإطمئنان. هل يكتب هنا. أم ينتظر أن يعود للبيت ليكتب كل ما

يريده. أصبح لا يثق في المكاتب والحجرات، يتوقع أن تكون هناك كاميرا مدسوسة هنا أو هناك.

ثمة خوف أكبر يتعاظم بداخله الخوف من المجهول. حتى لو قتل صباح ما الذي يضمن له أنهم لن يزجوا به إلى السجن. السجن مرة أخرى. وكأنه كتب عليه السجن دون إرادة في كل مرة. حسين يقول له إن الحلقة كانت جيدة، والمتصلات كانت أسئلتهن منطقية، وطلب منه أن يكافئ إحداهن لأنها بدت منطقية وأسئلتها مرتبة، وأخبره أن يسرح المتصلة الأخيرة فكان سؤالها خارج مضمون الحلقة وخارج كل الأتفاقات المتعارف عليها.

كان من الغريب في أول عمله عندما أعطوا له قائمة بتليفونات فتيات وسيدات كل وظيفتهن الأتصال وطرح الأسئلة الدينية المختلفة، بل هناك كراسة مطبوعة طلب منه توزيعها على عدد منهن بها كل الأسئلة المفترض أن تقوم الفتاة منهن بالقائها على مسامع حسين في تليفون البرنامج. المدهش أن كل كراسة كانت بها أسئلة مختلفة عن الأخرى، وكل فتاة كان لها جزء يميزها عن غيرها، أحيانا من نبرة الصوت والسن يضعون الأسئلة المناسبة.

كانت معه الآن رزمة جديدة من هذه الكراسات وعليه أن يسلمها لأحد العناوين قبل أن يعود لشقته. وفي نفس الوقت عليه أن يكتب هذا الخطاب السري الذي سيرسله لشخص ما.

الغريب أنه لهذه اللحظة لم يعرف من الشخص السري الذي سوف يرسل إليه الخطاب.

صباح لم تتصل وهذا شيء مريب هو الآخر. حاول الإتصال بها عدة مرات على هاتفها الذي اعطته رقمه، ولكن الهاتف دوما مغلق.

الحيرة شعور مزعج أصبح ملازم له. شيماء هي الأخرى عادت للإختفاء. أو هو لم يعد لديه رغبة حقيقية في رؤيتها في ظروفه هذه فلم يبحث عنها.

سليم التباغ يلتقيه أحيانا بطريق الصدفة التي يصنعها سليم بنفسه. كلمات سليم أصبحت قليلة ونادرة ، بينما ظلت تلك الابتسامة الغامضة على شفتيه كتقرير واقع غير مفهوم.

دخل المطعم الصيني عدة مرات، في مرة منهم وجد يد سليم توضع على كتفه وهو يغادر قائلا: - استمتع.. حاول تستمتع.

لم يكن لديه وقت كاف ليرد فقد اختفي سليم كما ظهر. سليم هو الآخر لغز. لمن ينتمي هذا الشاب. اللعبة في يد من؟

السؤال الذي لن يجد له إجابة مهما حاول. ومنذ متى وهو يجد إجابات، كلها أسئلة في المطلق. في الفراغ. سبع سنوات سجن في الفراغ. كمال والمكتبة في الفراغ. حبه لشيماء في الفراغ. عبد الباري في الفراغ. حسين نفسه في الفراغ. صباح وأيامه معها في الفراغ. كله فراغ لا ينتهي. فراغ يكاد يبتلعه أو ابتلعه حقًا هو فقط لا يشعر.

غادر الأستديو ورأسه مشتعل بالأفكار، عليه أن يجد مكانًا هادئا ليستريح قليلا من دوامة التفكير الذي لا ينتهي. عليه أولا أن يسلم هذه الكراسات إلى المكتب الذي أصبح يعرفه الآن بحكم طبيعة عمله ثم يصبح حرّا. أهو حرّ حقا؟ لا مزيد من الأسئلة.

كالعادة وعن طريق الصدف المتكررة وجده أمامه، سليم التباغ وضحكته الثابتة، ووجهه الذي صار أقرب لقناع يعرفه. برغمه ابتسم وسليم يحتضنه.

تطلع سليم للكراسات في يد "ميم" وظهر أنه يعرف طبيعتها ثم قال:

- نوديها في طريقنا واحنا ماشين. ياللا بينا.

- مش وقت أكل صيني ده!

- لا أكل صيني إيه. أبو طارق عايزك.

- أبو طارق بتاع الكشري؟

ابتسم سليم وهو يشير له أن يركب قائلا:

- أبو طارق بتاع كل حاجة. اركب.

كان باستطاعته أن يرفض، ولكنه وجد في نفسه الرغبة في مرافقة سليم، شعور يقول له إن ثمة نقطة نور في طريقها إليه. ركب وهو يسأل سليم:

- مين أبو طارق؟

- ما قولت لك بتاع كل حاجة. هتعرفه لما تشوفه.

سيارة سليم مرة أخرى وطريق آخر مختلف. وكأن سليم هو من يملك مفاتيح حياته الآن وعليه أن يسير معه للنهاية. ممرّ آخر لا بدّ من السير فيه!

***

مكان مفتوح في الهواء الطلق، خضرة ممتدة في كل اتجاه، حظيرة للخيول، برجان للحمام، طريق مصفوف بأشجار شكلها ملفت للانتباه وجذابة، بعض الضيوف يتحركون في المكان الممتد لأكثر من كيلومترين، والذي يخص أبو طارق بالتأكيد، ربما كان هذا أقرب تفسير وصل لذهنه وهو يتأمل سليم الصامت. لم يعد يشعر بالدهشة كما سبق. ولكن الفيللا كانت ضخمة حقًا ربما أضخم من فيللا صباح بمراحل. هؤلاء الناس يتنافسون في كبر قصوراهم وفييللهم.

آثر الصمت حتى يعرف من هو أبو طارق، ولماذا يريده هو؟ سليم يبتسم وهو يوقف السيارة بجوار ممشى صغير أمامه ست درجات سلم تقريبًا. وأشار إليه بالنزول. نزل. وأشار إليه بالصعود.صعد.

بعد لحظات كانا يدخلان إلى ذلك البهو الضخم، تطلع لتلك اللوحات والتماثيل في البهو وإلى سليم المبتسم بجواره، لم تمر هنيهة حتى رآه داخلا عليهما. تطلع له ولسليم ورقص قلبه بين ضلوعه، أي فخ هذا الذي أوقعه فيه سليم. فلم يكن أبو طارق سوى زوج صباح. ذلك الخليجي الذي رأه في الحفل، لقد تعرف عليه برغم أن يرتدي الآن ملابس عادية.

التقت أعينهما للحظة، وبدا له أنه يسمع دقات قلبه المتواصلة في الارتفاع. فجأة انطلقت ضحكة من بين شفتي أبو طارق وهو يقول بعدها بعامية مصرية واضحة:

- مالك بتبحلق في ليه. اتفضل أقعد.

ونظر لسليم وهو يقول:

- تقدر تمشي يا سليم وزي ما قولت لك. ومستعجلوش.

لم يعرف لماذا يأمر سليم بالإنصراف، ولم يعرف كيف يتكلم العامية المصرية وكأنه ولد بمصر وعاش عمره كله بداخلها. لماذا إذن كان يرتدي الزي الخليجي من قبل ويتعامل على أنه ثري خليجي طول عمره .. ما سيعرفه وقتها أنه تربى سنوات في مصر وهو صغير ويتكلم العامية كأهلها ولكن مع من يرغب فقط ..فلغة الخليجي تعطيه ميزة الأهمية والثراء والفخامة لدى المصريين عموما .

جلس أمامه وهو يشير له أن يجلس في كرسي يقابله، لم يكن أمامه سوى الطاعة. اقترب منهم خادم بملابس متناسقة

- تشرب إيه؟

- فنجان قهوة سادة. محتاج أفوق.

ضحك أبو طارق تلك الضحكة المسرسعة العجيبة وهو يقول:

- مجاش وقت القهوة السادة. بس زي ما تحب.

أشار للخادم الذي انسحب في ثوان من أمامهما. ونظر أبو طارق له وهو يقول:

- عارف أكتر حاجة تضايقني إيه.

بلع ريقه وهو يومئ لأبو طارق برأسه أنه لا يعرف، يبتسم أبو طارق ابتسامة ذئب يلاعب فريسته وهو يقول:

- لما تكون عندك لعبة. ولعبة حلوة وحد غيري يلعبها أو يلعب بيها أو حتى يلعب معاها .

ثم أطلق تلك الضحكة العجيبة مرة تانية وهو يقول:

- أو يلعب فيها. فاهمني طبعا.

آثر الصمت واتخذه حاجزا بينه وبين أبو طارق الذي بدا أنه قد أعد شيئا ما من أجله. بينما نظر أبو طارق للأعلى وهو يقول:

- تفتكر أني زعلان منك. الحقيقة لأ. بص أنت طبيعي بعد خروجك من السجن مريت بضغوط كتير وطبيعي تتعلق بأي قشة. وطبيعي برضه أنك تغلط. كلنا بشر وبنغلط. متستعجبش أنا عارف عنك كل حاجة. يمكن اكتر ما تكون عارف أنت عن نفسك. ابو طارق لما يعوز يوصل لشيء بيوصله.

في تلك اللحظة كان الخادم يضع فنجان القهوة أمامه، ويغادر ، نظر للفنجان ولأبو طارق الذي تحرك شفتيه وخرج صوته هادئا وهو يقول:

- اشرب قهوتك متقلقش. بص يا سيدي. فيه عرض عرضه عليك حسين. الحقيقة حسين كان غبي كالعادة. فاكر نفسه ذكي وهو اللي في ايده الحبال اللي بتحرك العرايس الماريونيت. بس غبي ميعرفش أني قاصص كل الحبال عن العرايس من زمان وسايبها تتحرك بحريتها. بس تحت عنيى وفي المكان اللي عايزها تتحرك فيه .. أكيد مش فاهم. محتاج وقت صح.

- بحاول أفهم بس الحقيقة انا مش عارف حضرتك عايز مني إيه؟

- حسين عرض اتنين مليون جنيه عليك. الغبي شال صفر كان قدام للاتنين. غبي فاكرني مش هعرف.

اتسعت عينا "ميم" وهو يقول بصوت مخنوق:

- عشرين مليون جنيه.

قال أبو طارق وهو ينظر في عينيه :

- مش كتير عليك. انت سبع سنين سجن ومرمطة، والسجن إصلاح وتهذيب وتعذيب. من حقك تستريح. فرصتك. زي ما جت لصباح فرصتها وزي ما جه لحسين فرصته. أنت فرصتك جتلك. مهي الاقدار والفرص دي ملناش دخل فيها. نصيبك كده بقى.

تلعثم " ميم " وهو يقول بدهشة :

- بس أنا مش عايز. مش هقدر. حضرتك ممكن تشوف حد غيري. أنا. أنا.

ابتسم ابو طارق ابتسامة ذئبية وهو يقول :

- مستعجل! اهدأ واشرب القهوة لسة قدامنا كلام كتير. وهتتبسط. اشرب.

رشف عدة رشفات من الفنجان وهو يتطلع لشفتي أبو طارق منتظرًا ما سيقول له.

فللجحيم أبواب كثيرة ومن الجلي أنه يطرق الآن كل أبواب الجحيم.

***

تصور أنه كان يحلم وهو يفتح باب شقته في الممرّ بعد رجوعه من هناك من ذلك العالم الذي لا يعرف كيف دخله ولِمَ.

كانت هناك تلك القطة السوداء تقف متربصة على باب الشقة تنتظر أن يفتحه؛ لتدخل أزاحها بقدمه قليلا ، وهو يرى نظرة لامعة في عينيها ، وأخذت تموء بصوت هامس وزاد موؤها بعدما أغلق الباب.

بعث أبو طارق سائقه الخاص لتوصيله للممرّ.

فرصة التفكير أسبوع واحد وعليه أن يقرر هنا أم هناك. في باطن الأرض أم فوقها. هما أم هو.

نعم لقد تغير العرض هذه المرة. تغير بدرجة غريبة. لقد أضيف للعرض بندا غريبا آخر، بل أضيف قتيلا جديدا.

لماذا يظن هولاء الناس أنه سفاح قادر على القتل. أي شيء فيه جعلهم يفكرون فيه بهذه الصورة.

سيغادر أبو طارق مصر ثلاث أسابيع كاملة إلى لندن في وقت قريب، عندما يعود يجب عليه هو أن يكون انتهى من كل شيء.

لقد وضع تحت تصرفه أشخاص ورقم تليفون بكلمة معينة توفر له أي طلب.

حسين يطلب منه قتل صباح. وأبو طارق يطلب منه قتل صباح، وأيضا قتل حسين بعدها.

الاثنان بالنسبة لأبو طارق غلطة يجب أن ينتهي منها.

وهو طريقة سهلة، فصباح تثق به. وحسين يثق فيه. سيكون الوصول إليهم سهلا. لا دماء.

لا رغبة لأبو طارق في دماء وإلاّ فعلها أي شخص آخر.. وعشرون مليون جنيه مكافأة أمر يثير خيال أي شخص مهما كان. عشرون مليون لقاء وضع مسحوق بسيط في كوبين.

مؤكد أن ما حدث خيالات. هلاوس أصابته بعد خروجه من السجن. بالطبع الحشيش أثر على مخه جعله يخترع شخصيات وهمية تطلب منه طلبات مستحيلة. كلاّ.

كمال هو السبب ربما وضع له شيئا في الشراب من أدوية الهلاوس التي يأخذها. لماذا كمال؟

شيماء قد تكون هلاوس هي الأخرى. كلاّ أنه سليم. هو متأكد أنه سليم. إذن الأمر ليس حلمًا ولا كابوسا بل واقعا مؤلما.

واقع كابوسي عليه أن يفلت منه بأية طريقة وإلاّ سيضيع مرة أخرى، وهو لم يعرف بعد لماذا ضاع أول مرة.

هل هناك من ينجيه الآن مما هو فيه، واضح أنهم يراقبونه جيدًا، ويعرفون تحركاته. حتى لو ذهب للشرطة هل سيصدقونه هو ويكذبونهم. مستحيل!

هناك ضابط برتبة كبيرة شاهده وهو يغادر الفيللا يجلس على إحدى الموائد في الحديقة وبجواره فتاة صغيرة، ربما هدأ السائق السرعة وقتها ليقول له إن الشرطة نفسها في جيبهم.

ومن رآهم في الحفل يجعله يدرك أن اللعب مع هذه الناس هو الخطر الذي ليس بعده خطر.

هل يتصل بصباح ليحذرها، سيعرفون؟ هل يلجأ لحسين. حسين هو الآخر خائن بالنسبة لأبو طارق ولكن لو أخبره ربما يبيعه حسين خوفًا على عمره.

يفضل أن يعود للسجن فهناك كان كل شيء معروف وواضح، المهانة، كسر كرامته، حتى التعذيب كان يدرك أنه سيتخطاه سيأتي وقت ويمر. هنا لا شيء يمر عليه أن ينفذ طلباتهم أو الجحيم. لو فكر في الهرب لن يتركوه ولأين يهرب؟ مما رآه فهم يملكون كل شبر في هذه المخروبة.

عليه الانتظار وتعشيم النفس أن ثمة مخرجا سيظهر وسيضئ له سكة الخروج.

تعب من التفكير، النوم حل سهل ومؤقت ويكفي في هذه اللحظة.

***

الصباح، يصحو على رنين التليفون، كلمات قليلة متبادلة، يذهب إلى الحمام يغسل وجهه، يرى أنه كان ينام ببذلته ولم يغيرها. لقد اشترى عدة بذلات جديدة. وهناك رابطة عنق أخذها هدية من صباح. صباح تغيرت لدرجة رهيبة، خبرة سنوات لم يكن موجودا فيها ليعلم كيف اكتسبتها.

هل يطلب من المتصل أن يصعد.الساعة تقترب من الثالثة عصرًا كيف نام كل هذا الوقت.

إذن كل شيء حقيقي، فسليم التباغ ينتظره في الأسفل وسيقابل من يفك له سر حياته، ويكشف له سرّ سجنه سبع سنوات دون جريمة ملموسة. يجب أن يذهب وهو في أحسن حالة.. تأكد من منظره بعدما أحكم رابطة العنق على رقبته.

جميل! تمتم لنفسه وهو يرى برغم الأجهاد أنه في وضع جيد بل بدا وسيما .

سليم التباغ رفيق المشاوير هذه الأيام. المشاوير التي يرغبها والتي يجد نفسه فيها أيضا دون رغبة. سليم وجه لعملة لم يفهمها بعد.لا وقت للتفكير، فسليم يستعجله برنين آخر. رد أنه سينزل حالا. مد يده تحت مرتبة الكنبة وسحب الظرف الذي كانت قد أعطته له صباح، ألف جنيه أخيرة متبقية. لا بأس، فهناك رزق قادم وكبير.

كان شرطه لينفذ طلبات أبو طارق أن يعرف لماذا سجن، ومن وراء سجنه حتى يستريح، فهذا الأمر يحطم حياته فعليًّا. التفكير أحيانا يكون مدمرا أكثر من أي مجهود جسدي بل في الغالب هو كذلك.

يفتح باب السيارة ويجلس بجوار سليم الذي كان ينهي مكالمة ما، قال سليم بلهجة سريعة:

- نتغدى في المطعم الصيني. وبعدين أوصلك. لسه شوية على الميعاد.

إيمائة من رأسه بالموافقة وسليم يضغط دواسة الوقود لتنطلق السيارة مخلفة وراءها ستارة من الغبار.

كمال يجلس أمام المكتبة وبجواره كانت تقف شيماء، هكذا خيل إليه وهو يغادر الممرّ. لثوان فكر أن يطلب من سليم التوقف والنزول ليرتمي في حضن شيماء. لا وقت للعواطف الآن عليه أن ينتهي من هذا الأمر الذي يعكر حياته أولا، آنذاك قد يحين الوقت لشيماء أو غيرها.

ربما سمع صوت كمال ينادي عليه. لا يهم!

هل حقًّا هي مجرد ساعات ويعرف سر سبع سنوات ضاعوا من حياته بعذابهم بكرامته المهدرة بالآمهم وكل أفكاره المجنونة حينذاك.

ساعات تفصل بين حقيقة غائبة، وكذبة يعيشها الآن. كذبة أنه يحيا حقا. أنه يمثل أنه حي وأنه يعيش. عليه أن يتوقف عن التمثيل أو يندمج في الدور حتى يحوله لحقيقة.

المطعم الصيني، وسليم، والأكل، ورشفات الماء، وغصة في حلقه لا تذهب، وضباب يلف مخه، ولحظات انتظار أطول من أي شيء آخر مرّ به. الحساب، مغادرة المطعم، السيارة، السرعة التي يترجئ سليم أن يزيدها، نظرات سليم الغريبة التي ترافقه الآن.

المبنى الضخم، كلمات سليم القليلة أن ينزل، وأنهم في انتظاره، هذه المرة يدخل بإرادته إليهم. مكتب مباحث أمن الدولة. يستقبله رجل يسأله عما يريد، يظهر أنه أمين شرطة. يقول له عن الأسم الذي أخبره به سليم، يهزّ الأمين رأسه ويطلب منه تسليم بطاقته والمحمول في الأستقبال والانتظار لدقيقة.

دقيقة أخرى لن تضيف للوضع شيئًا ولكنها أطول دقيقة في حياته مرّت عليه..أنه يشك أن الزمن توقف، وأن الضباب الذي يلف عقله آخذ في الأزدياد، بعد وهلة وجد صوت الأمين وهو يقول:

- الدور التالت أول مكتب. الباشا منتظرك.

منذ دقائق وقبل دخوله كان لديه فرصة للهروب، الآن يصعد الدرجات وحده وكأنهم مطمئنين من ناحيته، كم درجة صعدها قبل أن يطرق الباب ويأتي صوت هادئ من الداخل يدعوه للدخول.

لماذا تذكر عنوان غريب قرأه أمس في الصحف " صديق ينفخ مؤخرة صديقه بالكمبروسر" وهو يرى وجه ذلك الضابط وهيئته.

بلع ريقه والضابط الشاب يأمره بالجلوس وهو يبتسم ابتسامة بسيطة غير موحية بأي شيء، وظل وجهه جامدًا وهو يقلب عدة أوراق أمامه وكأنه يقيس أهميته في وجه الضيف الزائر.

كان يعلم كل شيء بالطبع، تطلع لزائره بترو ٍقبل أن يغلق الملف ويطلق زفرة ملتهبة وهو يقول:

- تعبت خالص اعقبال ما وصلت لملف لك؟

واصل بلع ريقه وهو يقول متسائلا:

- ليه؟

نقر الضابط المكتب بأظافره وهو يقول:

- أنا عايزك تسمعني كويس. الكلام اللي هتسمعه هنا تنساه بمجرد ما تطلع من مكتبي. مش عشاني بس عشانك أنت. هو كان سهل علي الحقيقة أقول أني معرفش حاجة عن موضوعك ولا أدور عليه، بس عشان اللي بعتك لهنا هقولك. وفي نفس الوقت احذرك لو خرج الكلام ده لحد أو أي حد شم خبر بيه.. البلد مقلوبة زي ما انت عارف اليومين دول .

أومأ برأسه موافقا وخرج صوته ضعيفا وهو يهمس أنه موافق، تكلم الضابط بهدوء وبصوت مليء بالثقة:

- من تسع سنين تقريبا كان فيه شخص مطلوب بشدة، وكان هناك عيون كتير بتحاول توصل ليه وترصد مكانه، لغاية ما جه تقرير بوجوده في الممر، للأسف أنت حظك وحش قوي، يجوز الليل السبب، يجوز ضعف نظر من الظابط اللي راح يجيبه، يجوز نصيبك وقدرك، المهم أن عنوان العمارة عندك كان 43 وكان العنوان الموجود به الشخص 23. الظابط المسئول اختلط عليه الأمر أو أمر الضبط طلع غلط برقم العنوان الغلط، فجيت أنت بدل التاني. حظك الوحش وقعك في واحد بيرفض أن حد يقول عليه أنه غلط في حاجة وصعب أن كان يعترف أنه جاب شخص غلط وساب شخص مطلوب، وفي

نفس الوقت ملكش ملف بيقول أن لك أي نشاط معادي للبلد، الحقيقة كان ممكن يسيبك تمشي. بس أنت عارف الحوادث وقتها وجرايم الشرطة اللي الناس صدعونا بيها في النت والصفح الالكترونية. نصيبك بقى كده. والأهم أنه وصى عليك أنك متطلعش. عارف لولا حركة التنقلات الأخيرة، ولولا أن قصتك تقريبا اتنست مكنتش طلعت. طبيعي مش هقدر أقولك اسم الضابط ده مين. ولا الشخص اللي كان مطلوب وقتها، لأن كل حاجة اتغيرت. بس فيه شيء كويس ممكن أعمله علشانك. أني اديك ملفك في ايدك وانت خارج، وبكده لا هتبقى شرفتنا ولا عرفنا عنك حاجة، وتقريبا ملفك بيقول كده برضه. أننا منعرفكش ولا نعرف أنت اتسجنت بجد ولا لأ. مفيش أي دليل على أنك اتسجنت أو قضيت ساعة داخل السجن. عارف أن ملكش ذنب في اللي حصل، بس زي ما قولت لك نصيب. قولت إيه؟ تاخد الملف ويا دار ما دخلك شر. هاه قولت إيه؟

انتابته حالة من الضحك الهستيري وهو ينظر للضابط وعينيه المتسائلتين. وبعد هنيهة ابتسم الضابط ثم تحولت ابتسامته إلى ضحكة عالية مفرغة من أي إحساس.

***

أسبوعان منذ غادر"ميم" مبنى أمن الدولة وهو يحمل دوسيه الخاص واتفاق بالنسيان كأن شيئا لم يكن.

هناك نهايات للأحداث لا تستطيع سوى أن تقف أمامها صامتًا متأملًا وأحيانًا كي تصفق.

ثمة صدف قد تحول تاريخ حياتك كله لجحيم، هذا ما فهمه "ميم". ليته ما بحث خلف الماضي، فكرة أن هناك قوى أعلى منك

تطاردك وتعكنن عليك حياتك كانت أكثر شغفا من قصة أن الأمر كله صدفة، مجرد ضابط نظره ضعيف أو أمين شرطة كتب رقم خطأ.

رقم خطأ أضاع سبع سنوات من عمره في الجحيم.

كان يركب السيارة بجوار سليم التباغ وعيناه لا تريان أي شيء تقريبا، إحساس مضاعف من المهانة والذل، هو لم يدخل ولم يخرج. لم يدخل سجن ولم يفرج عنه. الورق يقول هذا؟

سبع سنوات عذاب بلا جريمة. الآن يشعر أنه بحاجة أن يفعل جريمة؛ إذ كان قد سجن ظلمًا فالأحق له أن يدفع أحد نظير سجنه.

لم يجد في ذهنه سوى شوكت. شوكت باشا هو الذي يجب أن ينفذ فيه جريمته. لقد اتفق مع أبو طارق، ووافق بعد مناقشات عديدة.

زيارة قصيرة لشوكت في بيته، ولكنه يرغب في أن يرى دماء شوكت. يجب أن يقتله بصورة تشفي غليله. ها هو سليم يقود به إلى عنوان شوكت، عندما يصعد إليه لن يكون هناك أي وجود لبواب أو حرس خاص، أمامه ساعة يستطيع أن يفعل فيها في شوكت أي شيء حتى لو مزقه بأسنانه لن يقاطعه أحد هذا ما أكده أبو طارق له، ساعة فقط وإلاّ سينتهي أمره إلى وضع مؤسف.

توقف سليم بالسيارة أمام العمارة التي يسكنها شوكت باشا، قال سليم بهدوء وهو ينظر تجاه باب العمارة:

- في الميعاد.انزل. حاول متتأخرش.

نزل سريعًا واتجه إلى باب العمارة، نظر في كل اتجاه، وتحسس المسدس أسفل السترة، واطمئن وهو ينظر للشارع الخالي لدرجة تظن أن أبو طارق قد أفرغ الشارع من البشر في تلك الساعة.

ثلاث دقائق تقريبًا وكان يقف أمام باب الشقة، يرن الجرس، فيأتيه صوت متسائل من الداخل، ثم هدوء، ثم وقع خطوات بطيئة، سيدخل سيفرغ المسدس في جسد شوكت، ثم يهبط سريعًا، وربمّا مشى في الشارع يطمئن أن لا أحد انتبه لوجوده.

فتح شوكت الباب، ونظر في عينيه بتعجب وهو يقول:

- أنتَ. اتفضل. اتفضل خش.

افسح الطريق أمام "ميم" وهو يدعوه للدخول. كان الشقة مظلمة لحد كبير، وأشياء كثيرة ملقاة بلا ترتيب، كومة من المجلات والجرائد على مائدة الصالون، مطفأة بها أعقاب سجائر كثيرة، رائحة الشقة كريهة وكأنها لم تفتح نوافذها منذ فترة طويلة. ورائحة الدخان يسيطر عليها. سعل "ميم" بشدة، فقال شوكت في بساطة آمرة:

- متفتحش أي شبابيك؟ خير!

- خير؟

- خرجت أمتى؟

- بعد ست شهور من نقل حضرتك.

- كان لازم أوصي عليك معلش. بس هما مدونيش فرصة. العالم ده مبتديش فرصة لحد. تصور شوكت باشا قاعد في البيت يبص للحيطان ويتابع نشرات الأخبار. هي كمان مدتنيش فرصة. آه. مراتي. شافت أنها زهقت وحياتها معايا سجن. هربت من سجني، وراحت سجنت نفسها في حضن تلميذ من تلاميذي كنت ببعته يطمن عليها لما أغيب شويه في السجن. خاين. وخايب. سمعت أنهم عايشين في التجمع في فيللا هناك. طلبت الطلاق. تصور بتهددني. هتصور نفسها عريانة ومع تلميذي وهتنزلها على الانترنت لو منفزتش كلامها. وهتقول

للكل أني مش طبيعي وشاذ. النسوان دول عجاب. أنت جاي ليه صحيح؟ وعرفت عنواني منين؟

انتبه "ميم" أنه أنتظر كثيرًا دون أن ينفذ ما جاء من أجله، كان يتطلع للظلام ولتلك الكتلة المتهالكة أمامه التي كانت في يوم ما تمثل شخصًا جبارًا.

تطلع لشوكت باشا ثم قام بسحب المسدس وشهره في وجهه. تطلع شوكت باشا للمسدس ولعيني "ميم" الثاقبتين، ثم ابتسم وضحك في بلاهة وهو يضرب الكرسي الذي يجلس عليه بيده كالطفل فيتطاير غبار صغير وهو يقول بعصبية :

- لا جديد..فيلم عربي قديم... البطل خرج من السجن لينتقم من سجانه ويقتله. طز... طز ..ياللا لو هتخف كده اضرب. أنا قدامك أهوه..متفتكرش أني مش خايف من الموت. مفيش حد ما بيخفش من الموت بس أنا ميت من زمان. من زمان قوي. مش وقت خطب صح. اضرب ومتشغلش بالك.

وقف"ميم" ينظر له ولعينيه البارقتين فيما يشبه الجنون، ثم قام بأغرب شيء في تلك اللحظة، لقد وضع المسدس على المائدة الفاصلة بينهما. ران صمت مميت على المكان. ثم قام بهدوء واتجه إلى باب الشقة، وسط نظرات شوكت الحائرة بين ظهره وهو ينصرف وبين المسدس الذي وضع أمامه.

وراح يصرخ و"ميم" يفتح باب الشقة بعنف:

- أمال كنت جاي ليه؟ ليه؟.. فاكرني هقتل نفسي زيك زيهم .. أغبياء.

توقف"ميم" قرب الباب ثم عاد والتقط المسدس من على المائدة ومضى!

الخاتمة

انتهى البرنامج بتصفيق كل من في الاستديو، اتسعت ابتسامته وهو يرى إشارة المخرج له إنه كان ممتازًا.

غادر الاستديو وراح يلقي تحياته على العاملين بالخارج، توقف لمرأى سليم التباغ وابتسامته التي لا تفارق شفتيه. قال سليم وهو يفسح له المكان ليركب بجواره:

- كانت حلقة ممتازة. خلاص كل يوم الخبرة بتزيد.

قال وهو يتأمل سليم بنبرة آمرة:

- خلصت كل الاستعدادات للحفل.

- طبعا. أوامر حضرتك لا يمكن تأجلها.

أشعل سيجارة وراح ينفث دخانها وهو يتأمل الطريق. بلى حقًا أنه السيد "ميم" كما توقعتم.

ما الذي جاء يفعله الآن، وكيف خرج على الهواء من دقائق كمذيع يقدم برنامج منذ سنة ونصف تقريبا.

علينا أن نرجع بك قليلا ونرى كل شيء من وجه نظر أخرى بعيدة عن كاتب هذه السطور.

لنعود لثلاث سنوات للوراء لنفهم كيف سارت الأمور.

مهلا للأسف لا وقت الآن للرجوع بالذاكرة للخلف فقد دخل سليم بالسيارة داخل تلك الفيللا الجديدة التي يسكنها "ميم". ومن الأضواء المنتشرة في المكان، وتحرك بعض الندل، تدرك جيدًا أن ثمة استعدادًا لحفل ضخم. لنذهب ونرى.

يتحرك إلى داخل الفيلا بينما يأمر سليم التباغ بفعل شيء لم يصل إلى مسامعنا.

يرتقي درجات السلم إلى الدور الثاني، يقف أمام باب غرفة ويدير المقبض ويدخل بتؤدة، يجدها نائمة في مكانها وقد انكشف كتفاها العاريتان، يقترب منها ويهزّها في رفق وهو يتحسس بلطف ظهرها، تتمطى ثم تنظر إليه، تعتدل في فراشها ثم تطبع قبلة على خده. بينما يقول هو هامسا وهو يحتضن وجهها بيديه.

- لسه نايمة معقولة؟

تتثاءب وهي ترد:

- معلش. وبعدين لسة بدري.

- الحفلة جاي فيها ناس مهمة قوي. أنت عارفة.

- ساعة وهبقى جاهزة.

- ماشي يا صباح. هنزل تحت أنا ابص على الترتيبات وأنت أجهزي.

نعم هي صباح، وهو "ميم" ونحن في فيللته أو فيللتها، يجب أن تكون توقعت هذا كله منذ أن فتحت عينيها.

أظن قد يسمح الوقت وهو ينزل السلالم لنتعرف على ما يجري حقًا.

مهلا من الذي يرتدى بذلة فاخرة وينظم حركة الندل في المكان؟ أهو كمال!

لو ظهرت شيماء الآن في هذه الحفلة سيكون غير غريب.

فما يحدث يثير الحيرة حقًا.

اللعنة! أبحق. شيماء أيضا موجودة، وتهتم بشكل الموائدة وطريقة رصها في حديقة الفيللا ، وكانت ترتدي فستانا رائعا، وبدت مشرقة

وهي تتحرك في ثقة ، وهناك من ينحني لها محييا عندما تمرّ بجواره، ولو انتظرنا لحظة لعرفنا أنها مديرة العلاقات العامة لشركة ما أو شيء ما سنفهمه في حينه.

كابوس سيفيق منه "ميم" حالا، ونراه في سريره في الممرّ أو على الكنبة في صالة الشقة الضيقة، وعلى الأرض يجلس عبد الباري يناوله سيجارة الحشيش هذا أقرب للتصديق مما نراه أمامنا الآن.

كان "ميم" قد اتجه إلى غرفة مكتب جانبية حرص على تواجدها أسفل السلم الدائري كأنه يحرص على أن يفهم الجميع أنها غرفة خزين بلا معنى. فتح الباب ودخل، ألقى نظرة على المكتب وترتيبه ليتأكد أن لا أحد غيره دخل للغرفة، تطلع للوحة كبيرة تحتل نصف الحائط تقريبا، وابتسم وهو يتذكر أنها لوحة أصلية اشتراها من مزاد بعشرة مليون جنيه، وحفظها في هذا المكان بعيدا عن أعين الفضوليين. هو لا يحب اللوحات حقًّا، ولكن يقال إن لهذه اللوحة تاثير رهيب على الحالة النفسية لمن يمتلكها بل هي جالبة للحظ، كلام ليس له أهمية، وربما اشتراها ليثبت لنفسه أنه أصبح مثلهم ويملك ما يملكون ويصرف ما يصرفون، ويمنع عنهم ما يشتهون. صب لنفسه كوبا من النبيذ وأخذ يرشفه على مهله، من كان يتصور أنه بعد كل ما جرى يصل لهذه الحالة من الغنى، وكأن الحياة قررت أخيرا أن تعطيه بلا معنى ودون توقف.

يتذكر ذلك الشيك بعشرة مليون جنيه المساوي لثمن اللوحة التي أمامه والذي أخذه من أبو طارق نظير تخليصه من صباح وحسين. بداية كل شيء. العرض الذي يعرف أنه غير حياته كلها.

طرقات هادئة على باب المكتب، يعرفها من ترتيبها ودقتها فيقول بهدوء:

- أدخلي.

تمر ثوان ونرى مقبض الباب يدور ويد تدفع الباب، ونراها أمامنا نعم كل شيء فيها مختلف بدءً من تسريحة الشعر حتى طلاء أظافر قدميها ولكنها شيماء بعينيها المتسعتين وابتسامتها الخجولة. قالت وهي تقف قبالته:

- كل شيء تمام، والناس مستعدة.

قال في بساطة:

- جميل.

اقترب منها وملس على وجهها بيده فجفلت وهي تقول:

- هي فوق!

كانت تقصد صباح، انطلقت ضحكته وهو يقول:

- تفتكري أنها مش عارفة يعني؟

- طب أنا هطلع أشوف إيه ناقص.

- استني بكرة هاجي الشقة متنزليش الشغل.

أومأت برأسها وهي تنسحب من أمامه بينما يرسل إليها قبلة في الهواء. اطلقت تنهيدة حارة عندما أصبحت خارج الغرفة، وراحت تهندم ملابسها دون داعي قبل أن تتحرك اتجاه حديقة الفيللا.

تتذكر ذلك العرض بالزواج العرفي عليها من "ميم" بعد أن عينها في تلك الشركة التي عرفت بعدها أنه يملكها تقريبا، ولم تفهم في البداية كيف!

إنها فقط طاوعت كمال عندما طلب منها أن تذهب للشركة وتسأل عن شئون العاملين وتبلغهم اسمها فقط. وبالرغم من عبثية كلامه

وقتها ولكنها فعلت ولم تكن تعرف أنه ترتيب من "ميم" نفسه المختفي عنها منذ شهور. وها هي اليوم مديرة العلاقات العامة بالشركة، بالإضافة لكونها زوجة سرية لمالكها. قفزات زوجها كانت مذهلة، صاحب شركة، ومحطة تلفزيونية، ومذيع مشهور في فترة زمنية قليلة. شيء فيه يحيرها ولكن من الصعوبة أن تقول له لا على شيء يطلبه، فهي تحبه بالفعل.

انتبهت أن المدعوين قد بدأوا في الدخول، ابتسمت وهي تستقبل بعضهم، وتشير لمن يأخذهم لأماكنهم.

كانت صباح فوق تنتهي من زينتها، وقد ارتدت فستانا مكشوف الظهر يظهر مفاتنها، وواضح من تفصيلته أنه من أشهر بيوت الأزياء. جاء رنين هاتفها عاليا، كان زوجها "ميم" يخبرها أن الحضور يتطلعون لرؤيتها.

نعم كما قرأت لا تكذب عينيك، فصباح هي زوجة "ميم" المفترض أن يكون قاتلها.

واليوم هو ذكرى عيد زواجهم الثاني. وكان هناك تلك الحفلة التي تليق بالمذيع المشهور وزوجته سيدة المجتمع وسيدة الأعمال المعروفة بالإضافة إنها أرملة لواحد من كبار مليارديرات الشرق الأوسط. بلى لقد مات أبو طارق. كيف؟

الحضور كثيرون، فلنحتفل بالحفل، ونرى نظرات الأعجاب المنطلقة من العيون وصباح تتحرك في المكان باتجاهها إلى المنتصف وقد تأبطت ذراع زوجها الشاب وسط حالة من التصفيق المدوي. وانطلقت الضحكات عالية ومتبادلة بين جمع غفير من الحضور وهما يشاهدان ذلك الممثل الشاب الذي اعتلى خشبة مسرح معد وراح

يلقى النكات تقريبا وهو يرحب بالحضور فيما يشبه " الاستاند أب كوميدي " Stand-up Comedy ".

وبالطبع هناك بعض النميمة بين الحاضرات اللاتي تنافسن في ازيائهن المبهرة العارية في معظمها، كان الأمر أشبه بمهرجان كبير يجمع ناس من مختلف الفنون، مذيعين، ممثلين، معلقين، لعيبة كرة، شيوخ فضائيات يجلسون على جانب وحدهم، أحدهم يستفرد بشابة يحاول هدايتها دون سبب سوف إعجابه بجسدها البض. وسط نظرات زملائه المختفية تحت قناع الورع. حتى المنتج والسينارست السينمائي المعروف بشذوذه الجنسي كان يجلس على مائدة منفردة وبجواره جلس وجه جديد بطل فيلمه المستقل القادم.

وهناك في جانب آخر التف بعض الفتيات حول وسيط روحاني أو كما يزعم ليقرأ ليهم الطالع. لو تطلعنا لهذا الخبير الروحاني لأصابتنا حيرة بالغة ولكنها مصحوبة بالابتسامات، فلم يكن هذا الخبير سوى عبد الباري زميل المعتقل. ". واضح أن سوقه ماشي كما يقال بالبلدي " فالفتيات حوله تنطلق ضحكاتهن بشدة وتجعل العيون تلتفت إليه من وقت لآخر.

لا تذهل وأنت ترى دعاة الفضائيات يقفون لأخر شخص حاضر وسطهم، بلى كما توقعت أنت أنه حسين. الذي بادلهم الابتسام وهو يجلس معطيا ظهره للحفل.

الحفل مدهش وصباح تتحرك بإريحية كاملة وابتسامة مرسومة بدقة توزعها على الجميع بالتساوي تقريبًا، وأحيانا تتسع عند شخص معين له أهمية في عملها. ومن وقت للتاني يقترب ناحيتها سليم التباغ ويهمس بشيء في أذنيها.

"ميم" يتحرك وكأنه يشاهد لعبة كبيرة اضطر للمشاركة فيها ولكنها تفوق على الجميع في لعبها. تفوق يُدرس بحق.

الوقت. ليلة محاولة قتل شوكت باشا الفاشلة منذ سنوات.

شعر وقتها "ميم" إن كل شيء كان يعده صار عبثا. الإنتقام لن يفيده في شيء الآن، بل سيكون أشبه بأناء فارغ يحاول أن يصب فيه هواء.

كان هناك جزء آخر مخفي لا يعرف عنه سليم أو أي أحد آخر شيء. مجرد رسالة صغيرة أرسلها إلى هاتف صباح السري كما تطلق عليه، يدعوها أن تأتي لزيارته في الممر في البيت القديم ولكن عليها أن تكون متخفية تمامًا، وتحرص على أن لا يراها أحد ما. فالأمر مهم وقد يكون ثمة خطر على حياتها.

وصل إلى البيت، وتأمل عبد الباري الجالس وقتها بملابسه الداخلية وقد أخذ حريته على الآخر. بعد دقائق قليلة وسيجارة حشيش سمع صوت وصول رسالة، كانت تخبره إنها ستأتي بعد ساعة، وعليه ألا يكون أحد غيره متواجد عندما تأتي. وزع عبد الباري بكلمات بسيطة، فهزّ عبد الباري رأسه على أنه فهم أن هناك امرأة ستحضر لهنا. وانصرف بهدوء.

بعد ساعة بالضبط كانت صباح تدق الباب دقات هادئة، فتح لها وأغلق الباب خلفها وهو يطلق ضحكة عالية فكانت ترتدي نقابا فلا يظهر إلاّ عينيها. تساءلت عن سبب كل هذا؟ وما أرسله لو كان السبب تافها ستقتله بطريقتها، وأطلقت ضحكة مائعة وهي تخلع النقاب فيظهر وجهها له وعينيها المتسعتين في تساؤل، إجابها بشيء بسيط، فقد شغل برنامج تسجيلي على هاتفه، يظهر فيه صوت حسين وهو يتفق معه على قتل صباح والمبلغ، كانت ابتسامتها غريبة وهي تسمع صوت حسين المنساب من الهاتف. جاء سؤالها آنذاك أهذا كل شيء؟ هزّ رأسه بلا، وبدا في تشغيل ملف آخر يحتفظ بيه على هاتفه أيضا

وهو صوت زوجها أبو طارق واتفاقه معه على أن يقتل صباح ويتخلص بالمثل من حسين وعن السم المعد الذي لن يتركه خلفه أي أثر. ربما بدت أكثر ذهولا وهي تسمع صوت زوجها وخطته، نظرت لـ"ميم" وسألته وهل جاء بها لهنا لكي ينفذ طلبات زوجها، قالت إنها كانت تعلم أن حسين يدبر أمرا ما، كانت حاسة الأنثى لديها تخبرها بهذا لذا استطاعت أن تجند سليم التباغ لصالحها بلغة المخابرات، فسليم التباغ هو رجلها وسط هذا المستنقع القذر، لم تعرف لماذا تحكي له كل هذا، وإذا كان قد استقر رأيه على قتلها هنا، فربّما لا تقاوم، فالشهر الذي عاشته معه في فيللتها ستعتبره مكافأة من الحياة لها.

أخبرها أنه يتعجب أن هؤلاء الناس يتفقون معه على جرائم ولا يأخذون حذرهم، قالت إنهم لا يخافون شيئا، فهم فوق القانون، وفوق أي سلطة يتخيلها.

اتفقا على ما سوف تفعله بعد ساعتين من الكلام والمناقشات وكان عليها أن تنفذ الليلة وليس غدا فلا أحد يعرف ما الذي سيجري صباحا.

وكان عليه هو بعدها أن يجري مكالمة أخرى، مكالمة إلى حسين يخبره أنه يرغب في زيارته لأمر مهم. والآن بلا تأخير.

***

صدحت الموسيقا عالية في تلك اللحظة، وبدأت الفقرة الراقصة في الحفل، اقترب "ميم" من صباح واحتضن يدها بين يده وهو ينطلق بها إلى المكان المعد للرقصة الهادئة، وكان يهمس في أذنها بكلمات رقيقة وهو يتأمل الناس حوله، بينما يتذكر دون تعمد تلك الليلة العجيبة التي أعطى لها فيها السم، وطلب منها التخلص من زوجها أبو طارق، وذهب إلى حسين في منزله، وانتظر معه يشغله لفترة طويلة في خوفه من التنفيذ، وقتل صباح وأنه يشعر أن هذا الأمر قد يعيده للسجن

الذي يكرهه، وأن على حسين أن ينسى هذا الأمر. وفي النهاية وهما يشربان أكواب الشاي وصلت رسالة له من هاتف صباح السري أن كل شيء قد تم، ما سوف يعرفه بعدها ويعرفه الناس من الجرائد أن رجل الأعمال المعروف وصاحب القنوات الفضائية المتعددة قد أصيب فجأة بذبحة صدرية أدت للوفاة، والبعض سرب خبرا أنه مات أثناء ممارسة الجنس مع زوجته الأخيرة وأن قلبه لم يتحمل الجهد.وكان جزء كبيرا من هذه الإشاعة حقيقة، فقد اتصلت به صباح وأخبرته أنها تشتاق إليه بجنون، وأنها تعد له ليلة غير عادية، ثقة أبو طارق الكبيرة بنفسه لم تجعله يشك في لحظة أنه يسير إلى حتفه، وأنه وقع في شرك أعدته صباح له.

وربما قال لنفسه وقتها لتكن ليلة الوداع لها قبل أن يتخلص منها، ولم يعرف أنها ستكون ليلة وداعه، وإنها قد اعدت العدة لتذيب له السم في كأس الماء الذي سوف يشربه بعد ممارسة الجنس معها كما يفعل دومًا .

وفي شقة حسين وبعد الرسالة، بدأت المساومة الأخيرة، فهو لم يرد أن يؤذي حسين سيكتفي بهذا المكسب حتى هذه اللحظة. كانت المساومة أن يتركه حسين في حاله وأن يبتعد هو عن صباح وأنه سيكتفي بأن يهرب بعيدًا، وصدقه حسين وقتها، وقال إنه سيفكر، ولم يكن يعرف أنه بحضوره وكلامه مع حسين ينفي أي شبه له أو علاقة بمقتل " أبو طارق ".

حتى عندما نشرت الجرائد الخبر وتمت الجنازة الضخمة التي حضرها جمع من الشخصيات المهمة لم يكن يخيل لحسين أن في الأمر جريمة، وصدق تلك الإشاعة الخاصة بالفياجرا والجنس.

والغريب والمدهش حقًا أن صباح أكدت له هو شخصيا أن أبو طارق مات أثناء جماعه لها وأنه لم يشرب السم ، بل الأغرب أنها أعادت لـ"ميم " كيس السم كما هو لم يمس .

ربّما شك حسين عندما ظهر "ميم" من جديد بصحبة صباح بعد فترة الحداد الطويلة لحد ما، ثم فوجئ بزواجهما، واكتفى بالصمت ولم يعقب.

واكتفت صباح بنظرات عجيبة كانت تلقيها إلى حسين من وقت لآخر عندما يجمعهما مكان صدفة .

وعرف أنه منذ هذه اللحظة سيكون من الخطر الاقتراب من "ميم" خصوصا بعد توحشه الغريب. أصبح من الأفضل أن يظل محتفظا بالصداقة المزيفة، وبرنامجه الأسبوعي على قناته بالإضافة لتاريخ قديم.

في تلك اللحظة كانت صباح تحتضن ميم، والموسيقى الحالمة حولهما بالإضافة إلى نظرات من الحقد أحيانا والغيرة من الحضور يخفونها تحت أقنعة الابتسامات المزيفة.

كان السيد " ميم" في تلك اللحظة يتطلع إلى شجرة كبيرة في وسط الحديقة، فهناك شيء كان يظهر ويختفي فوق الشجرة، وعندما دقق النظر أكثر وأكثر رآه واضحًا، كان ثمة قرد يتنطط فوق الشجرة، أغلق عينيه وفتحهما فلم يختف القرد بل زاد شيء آخر..

فقد كان هناك كلب ينبح أسفل الشجرة ويدور حولها ويخربش جذعها بيده وهو ينظر لأعلى لذاك القرد الذي لا يتوقف عن القفز من فرع لآخر مطلقا صياحا مفزعا .

2017 /9/26

الإسماعيلية

محمد إبراهيم محروس.

نهاية أخرى أكثر واقعية

خبر في جريدة في صفحة الحوادث " تم القبض على السيد "ميم". أثناء محاولته قتل الداعية المعروف حسين فؤاد العامري، وقد ضبط معه مسدسا يحمل بصماته قد أطلق منه رصاصتين أحدهما استقرت في كتف الداعية، وكان "ميم" من المترددين على الداعية لفترة للدرس والتحصيل ويبدو من التحقيقات أن الأمر كان من أجل الاندساس على الداعية الشيخ وقتله وليس من أجل العلم.

وقد ألقى المتهم بأسماء محرضين نفى الشيخ أن يكون لهم أي صلة بالموضوع، خصوصا أن المحرض الرئيسي الذي ذكر اسمه في التحقيقات صديق للشيخ منذ زمن، بل وبينهما شراكة في قناة فضائية وتجمعهما صداقات سنوات طويلة.

وقد تم إيداع المتهم بمستشفى الأمراض العقلية للكشف عن قواه، خصوصا لأنه طوال الوقت يدعي أنه يشاهد كلبًا وقردًا حوله يتحرشان به.